زيارة المـوتى VOYAGES CHEZ LES MORTS

شـخصيات المسرحيـة

- **جان**
- **جد جان لأبيه** : اسمه ليون .
- **جد جان لأمه** : اسمه أرنست .
- **الجدة** : العجوز .
- **والد جان**
- **والدة جان**
- **الزوجة الثانية لجان** : السيدة سامبسون ، اسمها هيلين .
- **شقيقا جان** : بول ، الكابتن . بيير ، الموظف الكبير .
- **شقيقة جان** : اسمها ليديا .
- **زوجة جان** : اسمها ارليت (جان يخلط بينهما) .
- **لويس** : (صديق جان الخائن) .
- **اسكندر** : (صديق جان) .
- **زوجته** : فيوليت .
- **جرجس** : (صديق طفولة جان) .
- **كمبارس** : السينمائى . **القروى** . نسوة ، **الخ** .

الديكور : المنصة مقسومة الى نصفين بواسطة حاجز له باب · من الممكن أيضا عدم قسمة المنصة الى شطرين والاكتفاء بوجود باب أو اطار باب فى منتصف المنصة · فى الجزء الأيمن فراش من الحصير يتمدد عليه شيخ عجوز على رأسه طاقية · فى الناحية الأخرى رجل أصغر بقليل يجلس فوق حصير آخر يقرأ الصحيفة · فى كل ناحية كرسى ومنضدة · من جهة اليسار يدخل جان دون أن يتوقف فى الحجرة الأولى ، يفتح الباب ويذهب الى الحجرة الثانية حيث يتمدد الشيخ العجوز ·

جان : صباح الخير يا جدى ·

الجد : أنا جدك لأمك ، لكننى أريد أن تدعونى باسمى وهو ليون ·

جان : صباح الخير ياليون ·

الجد : لماذا تنظر الى هكذا ؟ كان عمرى أربعة وسبعين عاما حينما انتقلت الى العالم الآخر ، وها قد مر على موتى ثلاثون عاما · هل تذكر ؟ كنت صغيرا ·

جان : يبدو عليك الغضب · ومع ذلك كنت الطف واظرف حينما كنت على قيد الحياة · كنا نذهب معا الى السينما · وصعدت معك برج ايفل لأول مرة · جدتى ليست معك هنا ؟

(الجد يلزم الصمت) ·

« اما » ليست معك ؟

الجد : لقد ماتت أرمل ، فهى حرة ·

اذن فأنت لا تراها كثيرا · أنا أنظر اليك لأننى لم أكن أعرف أننى أشبهك الى هذا الحد ، الحواجب هى هى ، لون العينين نفسه ، الأنف الضخم هو هو ·

الجد : دعنى فى هدوء اننى أفكر فى اختراعى ·

جان : اختراعاتك مرة أخرى · انها لم تنجح فى حياتك · فهل تعتقد أنها الآن ···

الجد : اذهب لزيارة ارنست ، ابنى ، خالك ، فى حجرته ·

جان : سأعود اليك ·

الجد : لقد سلبونى كل شىء · انهم يمنعوننى حتى من تدخين الغليون ·

(يعود وجهه فى مقابل الجدار) ·

(جان يتظاهر بالطرق على الباب) ·

جـــان : ممـــكن ؟

ارنست : ادخل .

جـان : تسكن مع جدى الآن ؟

ارنست : من أعطاك عنوانى ؟

جـــان : صباح الخير يا ارنست .

ارنست : قل لى يا خالى . أنا أسألك كيف عرفت عنوانى ؟

جـان : ماذا دهاكما أنتما الاثنان ؟ هل الموت هو الذى جعلكما شرسين هكذا ؟

ارنست : أنا لم أمت ، أنا بلغت سن التسعين . بوسعى أن أكون أبا لأبى . كل ما هناك أننى قررت أن أتوقف وأن أثبت عمــرى عنــد التسعين . لا أريد أن أعيش أطول من ذلك .

جـان : هل عندك فرشاة ؟ فلكى أصل الى جدى واليك سلكت طرقا موحلة . كذلك كان هناك مطر خفيف بللنى قليلا ، المهم أن حذائى اتسخ وكذلك أسفل بنطلونى ، ثم ، لما كانت جميع المنازل بيضاء ومنخفضة ، فقد وجدت صعوبة فى معرفة منزلك . أو بمعنى أصح منزلكما ، مادمت تسكن مع ليون فى بيت واحد .

ارنست : أنت لم ترد على ســـؤالى . من أعطاك عنوانى ؟

جـان : نسيت . نسيت . ربما والدتى .

ارنست : هى لا يمكن أن تعرف العنوان ، فقــد رحلت قبل . وأنا لا أراها أبدا . ولا أعـرف أخبارها . العائلة لا تحبنى . ومع كل فماذا كان بوسعى أن أصنع لأفراد أسرتى . لقــد دبرت مراكز لجميع أفراد الأسرة . ساعدتهم. أما هم ، فكلما تحسنت أحوالهم وكلما ارتقوا فى مناصبهم هجرونى ولم أعد أراهم . اذن ، من الذى أعطاك عنوانى ؟ لا أريد أن يعـــرفه أحد . لقد كنت دائمــــا أفكر فى الآخرين ، أما الآن فلا أريد أن أفكر الا فى نفسى .

جـان : ولا تعرف حتى أين توجد خالتى سوزان؟ فلعلها تعرف عنوان والدتى . فهى التى أبحث عنهـــا . اننى لم أرها منذ فتــرة طويلة ، ولا أريد أن تتصور أننى نسيتها . بل اننى أود أن أقدم لها بعض الهدايا والورود .

آه ، نعم ، من أعطانى عنوانك ؟ ربما أكون وجدته بنفسى ؟ هذه الطرق الموحلة قد ألهمتنى ، وهذه المنــازل المنخفضة . قلت فى نفسى انها كانت تميل الى هذا النوع من المساكن . كانت تناسب ذوقها . كانت تغير سكنها كثيرا وكانت تبحــث دائما عن الأدوار الأرضــية أو الأدوار السفلية . هى التى كنت أبحث عنها ، فوجدتك أنت . هذه المنــازل المنخفضة ، ذات السقوف المنخفضة ، البيضاء مع شىء من القــذارة هى ذوق العائلة .

ارنست : أخى أندريه وحده هو الذى كان يعرف عنوانى . وقد طلبت منه ألا يخبر به أحدا ، أى أحد ، أى أحد . لم أعد أسمع عنه شيئا .

جـان : انه فى الثمانينات ، مادمت تريد أن تعرف عمره الآن ، لكنه فى صحة جيدة .

ارنست : نعم : هانت ذا ترانى رث الثيــاب ، قذرا ، الرودانجوت الذى عندى كله ثقوب ،

يلمع من كثرة الاستعمال • كنت لا أحب أن تراني في هذه الحالة ، بعـد كل ما أذيتـه للجنس البشري •

الظلم ، الظلـم في كل مكان • اني لا أكاد أملك ثمن الصحيفة أشتريها مرة في الأسبوع • اذن معرفتي بالأخبـار قاصرة • هيئتي كهيئـة الصعاليك المتشردين لكنني أحتفظ بعزة نفسى واسـتقلالي •

جـان : أنت لا يمكن أن تتغير يا خالي •

ارنست : لا أحد يستطيع أن يشتريني •

جـان : أنا عنـدي نقود ، عندي نقود كثيرة ، أستطيع أن أعطيك منها مادمت أنت أخاها •

(جان يخرج لفافة من الأوراق الماليـة من جيبـه) •

خذ ، لك ولجدي ، ستمائة ألف فرنك ، ألف فرنك جديد •

ارنست (الذي لايبدو عليه الامتنان)

هذا يكفي حاليا • هذا ليس كل ما تقدمه لنا، يجب أن تقدم غيره •

جـان : تذكرت الآن كيف عرفت عنوانك ، أو على الأقل ، الطريق اليك • لقد سرت وراءك في شوارع المدينة ، وفقدت أثرك • ولكنني قبل ذلك • كنت قد رأيتك تتنقل من منزل الى منزل • من متجر الى متجر ، كان أمرا غريبا• ربما كنت تفعل ذلك من أجـل الأعمال • ثم أخفيت نفسي خلف زاوية أحد الشوارع حتى لا تراني ، واذا بك تختفي ، فقد هربت مني • فكيف فعلت لكي أعثر عليك ؟ شخص ما ، لكن من هو ؟ صـــحبني جزءا مـن الطريق ، شـــخص ما هو الذي أعطـاني ، مع ذلك ، معلومات عن الطريق اليك •

ارنست (وهو ينتهي من عد النقود)

ستمائة ألف فعـلا •

جـان (خارجا نحو اليسار)

سـأعود ، ولكنـني يجب أن أذهب للبحث عنها •

(ارنست ينتقل الى حجرة الجد والنقود في يـده) •

ارنست : ليون ، انظر ، معي نقود ، فيكتـور هو الذي أعطاني اياها• رد لي جزءا من ديني عليه•

الجـد : أعتقد أن اسمه ليس فيكتور •

ارنست : لا يهـم •

(الجد ينهض • يجلس على حافة الفراش ، ينظر الى النقود) •

هذه الأوراق المالية لا قيمة لها • فهي ليست سارية المفعول في قريتنا ، ولا حتى في سوق الأوراق المالية (البورصة) •

★

الديكور : لا توجد تركيبـــات ديكور : كرسي ، منضدة •

الشخوص : الأب ، رجل آخر في الخمسينات ، (الرجل الآخر جالس الى المنضدة ، حافظة أوراق فوق المنضدة، جان يدخل من الباب)•

الأب : هل جئت لزيارتى ؟ لم أكن أتوقع زيارتك . هل جئت فعلا من أجلى ؟ أعتقد أنت جئت من أجلها . أليس كذلك ؟

جان : الذى يدهشنى أكثر أن أكتشف فى رحلاتى مدنا جديدة ، مدنا لم أسمع عنها فى حياتى . صحيح أننى لست قويا فى الجغرافيا، ولكننى مع ذلك كنت أعرف الضرورى منها ، غير أنى فوجئت وبلا مقدمات بوجود مدينة جديدة . لابد وأنها كانت مستعمرة فرنسية . مدينة منسقة بها ميادين ليست كبيرة جدا وشوارع ليست ضيقه جدا ، وطرق ليست واسعة جدا ، ومنازل متوازية لا هى بالغة الارتفاع ولا هى بالغة الانخفاض . تشعر أن داخل الشقق مريح كما أن بها شرفات . وفى الخارج لا يوجد اناس كثيرون . ولعل ذلك لأن السكان ينعمون بالهدوء والراحة داخل بيوتهم ، ولديهم كل ما يحتاجون اليه .

الأب : لابد أننى سمعت عن هذا البلد فعلا ، ان أخى الذى كان عالما جغرافيا كبيرا والذى مات فى مطلع شبابه ، قام برسم حدود هذا البلد. وهو بالفعل مستعمرة فرنسية توجد فى شمال الصين . الناس فيها يمارسون ركوب الخيل ونسميهم « آخر فرسان الغرب » ، ومع ذلك فهم يسكنون الشرق الأقصى . فطرفا النقيض يتلامسان ويلتقيان . أنت لم تشاهدهم لأنهم ربما كانوا فى الحقول حينما قمت أنت بزيارة هذا البلد .

جان : كيف اذن نفسر وجود البحر والمحيط ؟ لقد لمحت ذلك على حين فجاة وأنا أدور عند زاوية أحد الشوارع ، كان أزرق اللون مثل « كوت دازور » ، بل كان هناك ميناء .

الأب : أنت لم تأت للبحث عنى . بالنسبة لى ، الأمر سيان ، فلقد تجاوزت مشاعر الأسف والمرارة .

جان : كان البحر فى نهاية الطريق على هذا النحو ، فالشارع كان يهبط قليلا كما هى الحال فى سان فرانسيسكو ، ومرة واحدة لمحته بالسفن على هذا النحو :

(يظهر أمامنا فوق جدار أقصى المسرح نهر كبير أزرق ، ومساحات خضراء وأشجار يغشاها ضوء شديد) .

انظر ، كان مثل هذا بالضبط .

(الصور تختفى) .

الأب : كنت أعرف أنك ستأتى ، وكنت أعرف أن ذلك ليس من أجلى . ولكننى أؤكد لك أن الأمر سيان بالنسبة لى . ان السلطات الجديدة طردت من المكتب جميع المحامين فيما عدا ثلاثة أو أربعة كنت أنا واحدا منهم . فقد كنت أتعامل معهم بحكمة وعقل ، كنت أطيعهم وأدافع عن المتهمين الذين يطلبون منى الدفاع عنهم، ولكن فى الحدود التى يرسمونها هم فيما يختص بالدفاع .

جان : أى دفاع كان بوسعك أن تقوم به ؟ لم يكن من حقك أن تدافع ، أنت بكل بساطة كنت تكلف زبائنك .

الأب : أنت مخطىء . أنتم جميعا مخطئون . رؤوسكم مليئة بدعايات الآخرين . لقد قمت بالدفاع عن موظفى البريد الذين كانوا يضربون عن العمل بسبب الحرارة الشديدة . وأيدت طلباتهم .

ولكن كان من الغريب ألا أدافع عن مجرمى الدولة .. ثم انهم ألغوا وظيفة المحامى بالكامل.

ولكن لما كنت مطيعا ، فقد كانوا ظرفاء معى وأعادوا تعيينى .

جـان : أعادوا تعيينك في الشرطة ؟

الأب : كلا ، نحن ننتمى الى وزارة الشرطة • نحن نتلقى اعانات من وزارة الشرطة • ولسنا رجال شرطة • أنا لست رجل شرطة والدليل هو أننى تحت الرقابة • لقد حذفوا من رواياتى بعض الأجزاء القليلة • فأنا أكتب روايـات طويلة •

(يخرج ملفا ضخما من درج المنضدة) •

انظر • هذا هو الجزء الأول • رواية قاتمة •

جـان : أوراق ، كم مهمـــل من الأوراق ، أنت بيروقراطى •

الأب : أنت لا تحقد على لأسباب سياسية ، أنت تحقد على ، فى الواقع لأننى طلقتها •

جـان : أنت هجرتها •

الأب : أنا آسف لأننى لا أستطيع أن أعطيك عنوانها • لقد اختفت ، أنا صحبتها حتى محطة القطار • ورفضت أن تخبرنى بوجهتهـا • كل ما أعرفه أنها حجزت سريرا للنوم فى القطـار •

جـان : اذا كانت عربات نوم فوجهتها لابد أنها كانت مسجلة على الاعلانات • كان بوسعك أن تسأل الموظفين • أعتقد أنك كنت سـعيدا بذهابها ، لقد فعلت كل شىء لتحقيق ذلك • ولم تحـاول أن تستبقيها • كان يكفى أن تقول كلمة •

الأب : لم تكتب لى على الاطلاق •

جـان : من باب الحرص •

الأب : وأنت ، هل كتبت لك ؟

جـان : خطاباتها لم تصلنى ، ولكنها كتبت لى • أنا متأكد من ذلك • بلى ، بلى ، عندى دليل عقـلى •

الأب : لابد وأنها ذهبت بعيدا جدا • وصلت الى حيث لا يمكن أن نلمح أحدا ، لا بالعين المجردة ولا بالآلات • هى التى هجرتنا •

جـان : بل أنت ، لكى تتزوج مرة أخرى •

الأب : أنا وحيد • زوجتى الثانية ماتت • الجميع يعتقدون أنها على قيد الحياة وأنها أرمل منذ فترة طويلة • وهكذا يقع الناس فى الأخطاء •

(يظهر على المنصة سرير قديم بغطاء وستائر مسدلة • يدفع السرير رجلان سنسميهما « بول » و « بيير » وهما شـقيقا السيدة سامبسون • السرير يستقر فى منتصف المنصة) •

سترى الآن :

(« بيير » و « بول » يفتحان الستائر فيظهر السرير الذى ترقد عليه سـيدة ميتـة • أربـع شمعات موقدة فى أركان السرير) •

الدليل ، ها هو ذا !

جـان : ما هذه المسخرة ؟

الأب : هذه ليست مســخرة • هذه الجثة هى الدليل الحى • هذان هما شقيقاها : « بيير » و « بـول » •

بيير (لجان)

هل تعرفنى ؟ أنت كنت صغيرا جدا •

بـول : عرفنا أنك أصبحت شخصية مرموقة• كنا فخورين بك حينما علمنـا أنك حصلت على كأس ديفيز •

بيير (مشيرا الى السرير)

كما ترى ، أختى ماتت •

بـول : أجل أختى ماتت •

بيير : هيلينا ، شقيقتنا الكبرى ، جميلة العائلة •

الأب : كل انسان من حقه ان يتزوج مرة أخرى ، وأن ينفصل ، وأن يتزوج مرة أخرى . لم يكن ذلك سببا للحقد عليها . خاصة وأنها لم تستفد من الميراث ، ولا أنا ، لقد وهبت المال كله للدولة . ولحسن الحظ ، كتبي تجد رواجا . بل انني أحصل على ثمنها مقدما . أحيانا أكتبها أنا ويقوم بيير أو بول بالتوقيع . وأحيانا أوقع أنا ويقوم بيير أو بول بكتابتها .

بيير : شركة نقابية ثلاثية .

بـــول : كنـــا دائمـــا نسوى أمورنا مع جميع الحكومات .

جـــان (للأب) : أنا لا أصدق . فانت الذى تتولى كل شىء ، وتكتب كل شىء كالعـــادة . وهم الذين يستفيدون . عائلة من اللصوص . من الأفاقين .

الأب : كيف تجرؤ على مخاطبتى بهذه اللهجة ؟

جـــان : وأنت ، كيف تجرؤ على أن تكذب على ؟ كيف جرؤت على خداعهـــا وسرقتها ، كمـــا سرقتنى أنا ؟

الأب : أنا لم أكن مدينا لك بشىء . أنا حصلت على كل شىء بفضل كفايتى وعلمى ، لم يقدم لى أحد أية مساعدة .

جـــان : أنا لست بحاجة الى مساعدتك ، ولكن ، هى كانت فى حاجة الى المساعدة . وكان ينبغى عليك مساعدتها .

بيير : لا أظن أنكما ستتعاركان !

بـــول : لا يصح ولا يليق أن نعرض مثل هذا المشهد امام ميتة .

بيير : هى لا دخل لها بذلك .

الأب : ما أجملها بالرغم من السن المتقدمة والشعر الأبيض ! . انظروا اليها . انها اقل شحوبا مما كانت وهى على قيد الحياة .

بيير (لجان) : أنت كنت ضـــعيفا فى الفيزياء والكيمياء مما جعلنا نعطيك دروسا خصوصية .

الأب : وأنا دفعت .

جـــان (لبيير وبول)

لا أستطيع أن أغفر له ، لأننى لا أدرى اذا كانت هى غفرت أم لا .

بيير : ان أغلى ما نملك هو الحياة .

بـــول : هذا ما كانوا يرددونه علينا فى مدرسة ضباط الصف .

جـــان : سأبحث عنها مرة أخرى ، وثالثة ، لكى أسألها ، حينما أعثر عليها ، لكى أسألها رأيها فيه . هذا اذا كان ما يزال لها رأى وما تزال تذكـر ذلك . فمن المحتمل أنهـــا نسيت كل ذلك .

★

الديكور : باب منخفض جدا فى منتصف جدار أقصى المسرح .

فى البداية المنصة تكون مظلمة . فى الداخل ، حينما تضىء المنصة سنرى ثلاثة أسرة وأرائك . سنرى أيضا السيدات اللاتى لا نسمع فى بداية المشهد سوى أصواتهن . توجد سيدتان

(نسمع ضوضـــاء وقع أقدام ، احتكاكات ، لشخص موجود بالخارج) .

السيدة الأولى : يجب أن تنحنى يا سـيدى لكى تدخل . آه ، نعم ، الباب ليس عاليا جدا . يجب أن تنحنى . انتبه حتى لا ترتطم رأسـك . أضىء النور يا سـيدى اذا كنت لا ترى . الزرار فوق فتحة الباب مباشرة . ابحث يا سيدى ، تحسس وستجده . فأنت بذلك ستضىء لنا أيضا . أشعر أنك نجحت .

(الأنـوار تضىء . السيدتان ترتديان قناعين متطابقين . نرى فى أقصى المسرح الباب الصغير

جدا الذى يدخل منه جان وهو منبطح تسبقه قبعته التى تسقط فوق المنصة لمدى لحظات) ٠

السيدة الثانية : ادخل ، يا سيدى ٠

(جان دخل ٠ يتقدم وهو ما يزال منبطحا حتى يصل الى القبعة فياخذها فى يده٠ ينهض)٠

السيدة الأولى : ألم تصب بسوء ؟

جـــان : لماذا تظلان فى الظلام ؟

السيدة الثانية : لأنه لا يمكن أن نضىء النور أو نطفئه الا من الخارج ٠ كما فعلت أنت ٠ بعض الأشخاص يمرون أمام بابنا وهم يمتطون صهوة الجياد وحينما يلاحظون أن البـاب منخفض جدا بحيث لا يستطيعون الدخول عندنا فوق الجياد ، فانهم يطفئون النور لمضايقتنا ٠

السيدة الأولى : ويمر غيرهم من الطيبين فيضيئون النـــور ٠

السيدة الثانية : وهكذا فنحن نخضـــع لمشيئة أولئك وهؤلاء ، تبعا لكونهم طيبين او خبثاء ٠

جـان : لماذا توافقان على العيش فى هذه الشقة التى ليس لها نوافذ ؟ ٠٠ اننى أبحث عنها منذ فترة ٠

السيدة الأولى : انت تبحث عن أمك ؟

جـان : كلاكما تشبهها ٠ ألا يمكن أن تكون هى احداكما ؟

السيدة الأولى : نحن نتشابه جميعا ٠ أقصـــد نساء الطائفة ٠

السيدة الثانية : نحن لســـنا قريبـات ، كلا ، يا سيدى ٠ لسنا أختين لها ٠ لا يوجـد بيننـا سوى تشابهات روحية ٠

السيدة الأولى : ربما ستأتى ، فقد خرجت لشراء بعض الحاجيات ٠

السيدة الثانية : لقد ســافرت منذ خمسة عشر يــوما ٠

السيدة الأولى : كلا ، لقـد كانت موجودة صباح اليــوم ٠

جـــان : صـــباح اليــوم فقط ؟ ويكون مضى خمسة عشر يوما ؟

السيدة الأولى : المفروض أن تعود ٠

جـــان : يمكننى أن أنتظر ٠

السيدة الثانية اذن لن تلبث أن تعود ٠ يمكنك انتظارها ٠

جـان : لست أدرى ان كنا نتكلم عن الشخص نفســـه ٠

السيدة الأولى : يمكننـا أن نصـــنع لك بعض الفطائر ٠

السيدة الأولى : الايجار متواضع جدا ٠

جـــان : ومع ذلك فلابد وأنهـــا موجـودة فى مكان ما ٠

السيدة الأولى : لست أدرى ما الذى جعلهـــا تخرج ٠ لقد بقيت هنا أيـاما وأسابيع وشهورا بل وسنوات ، ثم وعلى حين بغتة ٠٠٠

جـــان : ألم تقل انها تنتظر أحدا ؟

السيدة الثانية : كلا ، ولكنهـا لا تستطيع أن تعرف ذلك ، فالبريد سيىء للغاية ٠ ثم ، هل كتبت أنت لها لكى تخبرها ؟

جـــان : البريد سيىء جدا ٠

السيدة الأولى : أنا فاهمة ٠

السيدة الثانية : ربما تكون قد سافرت لفترة معينة ٠

جـان (قلقا وحزينا)

ربما تكون قد سافرت فعلا لأنها شعرت أننى سأحضر ؟ اننى لم أسىء اليها بتاتا الا من حيث لا أدرى ٠

السيدة الأولى : هذه مشكلات لا نستطيع نحـن أن نتدخل فيها ٠

السيدة الثانية : لعلها سافرت الى الاقليم الآخر لزيارة احدى صديقاتها ٠ وتدعى جوليانا ٠ انها تملك قصرا جميلا أسـود ٠ وقد أمضت أوقاتا سعيدة فى هذا القصر ، لقد أرادت رؤيتـه مرة أخرى قبل هدمه ٠

جـان : القصر الأسود ؟ تقصدين القصر الأبيض؟

السيدة الأولى : ومع ذلك فقد كانت موجودة قبل لحظات ٠ لعلها قد سافرت الى الأبد ٠

جـان : هل تعتقدان أنها سافرت الى الأبد ؟

الديكور : حجرة حقيرة ٠ كرسى موسد قديم فى احد الأركان يجلس عليه الأب ٠ وفى الناحية اليمنى من المنصة منضدة لها ثلاثة أدراج ٠

(الأب جالس فوق الكرسى ، ينظر من آن لآن فى الساعة فى معصمه ٠ يتحدث) :

الأب : متأخر ، بطبيعة الحال ٠ شىء لا يدهشنى٠ لقد كان دائما متأخرا ٠ كان دائما يحصل على درجات سيئة فى المدرسة ٠ كيف تسنى له أن يكمل دراسـاته العليـا ؟ ضعيف فى اللغة الاغريقية ، ضعيف فى العلوم ٠ ومع كل فقد أكمل جميع الدبلومات ٠ كنت أود أن أجعل منه مهندسـا ٠ لم يطعـنى فى حيـاته ٠ كان دائما ضدى ٠ يا له من جيل غريب ! دائما اتهامات ، لم يفهمنى على الاطلاق ٠ كان يحتقر أصدقائى ، وأسرتى الجديدة ٠

(جان يدخل)

جـان : أنت أيضا ! منذ سنوات وأنت لا تفارق أحلامى ، أنت وزوجتك وأمى وأصهارك ٠ لم أحلم بكم جميعا سنين طويلة ٠ عشرات السنين٠ فما معنى هذه العودة اليكم ؟ هل معنى ذلك أننى لن ألبث أن ألحق بكم ؟ لم ننتـه من تصـفية حساباتنا ؟ دائما نعود لهذه البدايات المفزعة ٠

الأب : ذلك لأن العالم لم يعد يهمك ٠

جـان : أنا مازلت على قيد الحياة ٠ مازلت أناقش فى جلبة وهياج ٠ أتظاهر باهتمامى بهذه الحياة ٠ لقد فاض الكيل بى ٠

الأب : ومع ذلك فقد نجحت كما يقولون ، عشت حياة حافلة الى حد ما ٠ حافلة جدا ٠ حققت المجد ٠

جـان : أنا الآن أكبر منك عمرا ٠ ومع كل فكلما رأيتك وجها الى وجه أشعر أننى مازلت الطفل البـائس الذى كنت تمارس عليـه اضطهادك ، وكنت تضربه ٠ كنت تسبنى بسبب أمى التى لم تسىء اليـك بتاتـا ثم هجرتها ، من حسن الحـظ أنى تمكنت من الهروب منـك فى سن السابعة عشرة ٠ ماذا كان يمكن أن يعطينى أب مثلك كان يضرب خدمه ؟ ومع كل فلا شك أنك فى بعض الأحيـان كنت تشعر نحـوى بحنـان غـامض أو بنوع من الفخر حينما كنت أحقـق نجاحا فى الدراسة وحينما جعلت السياسة منى طريدا منبوذا ، سياسة بلدك الملعونة ، جعلت منى أيضا طريدا منبوذا ٠ كنت لا تستطيع أن تقـاوم رأى المجتمـع ، مجتمعـك ، بالرفض أو بالقبول ٠ ولكن كما ترى فقد انتصرت عليك ٠ لأننى كنت أملك الشجاعة والحظ لكى أخالفك الرأى ولا أنصـاع لك ٠ كنت أنت المحظى ، محظى الماسونيـين والديمقراطيين ، واليسـار واليمين ، والحكومات النازية، والحرس الحديدى والنظام الشيوعى ٠

الأب : أنا كنت عاقلا ، متواضعا ٠

جـان : لم تكن كذلك عن فلسفة وفكر ٠ لم تكن كذلك عن فلسفة وفكر ٠ وانما لكى تدبر أمورك ،

تمشى حالك ، وأخيرا فقد دبرتها كأسوأ ما يكون التدبير فى حياتك الخاصة ، مع زوجتك ، الثانية التى لم تستطع أن تتحملك والتى كانت تجعل حفيدتها تنام بينك وبينها حتى لا تمسها . البلهاء ذات الأقدام الضخمة . لم أقرك الا حينما علمت بعد موتك أنك كنت قد اتخذت لك عشيقة هى خادمتك الغجرية . وانى لأذكر أننى شاهدتك فى السينما بصحبتها ، عصر يوم من الأيام . وتظاهرت بأننى لم أعرفك . وكانت الشكوك قد بدأت تساورنى .

الأب : مثقل بالعمل ، ومكبل بشعور دائم بالذنب، لأننى لم أكن فظا غليظ القلب ، وبعكس ما تتصور كانت هى بهجة حياتى ، البهجة الوحيدة .

جسان : اشتريت لها أنت منزلا ، لم تعد تستطيع أن تستفيد منه ، فقد ماتت مثلك . خسارة لأن الثقة كانت معدومة فيما بيننا . والا لكنت قد قصصت على كل ذلك . ولكنت صحبتنى معها لكى نشرب معا . الشخص الوحيد الذى يمكن معاشرته من بين المحيطين بك .

الأب : دع اذن هذه الأمور . التى ماتت منذ بعيد، وحاول أن تتخلص من أحقادك نحو هؤلاء الأشخاص وعائلاتهم التى ماتت منذ زمن بعيد .

جسان : اذا كنتم تظهرون لى جميعا فى أحلامى فمعنى ذلك أن حقدى عليكم ليس كبيرا . المشكلة مازالت بلا حل . تقلبات وحروب فصلت بيننا . ولم يتمكن أحد من شرح وجهة نظره . لماذا آتى لأراكم فى الحلم ؟ أنت مت منذ زمن بعيد . ولن ألبث أن ألحق بك . ولكننى سأكون مع ذلك الابن ، حتى لو كنت فى الجانب الآخر ، سأجد مشقة فى الحضور لزيارتك ، فقد تحصنت أنت فى داخل المقابر الخاصة بزوجتك الثانية وأصهارك ، القراصنة ، هل هم فعلا قراصنة ؟ كانوا أغبياء شرسين ، سفلة ، ربما ليس أكثر من غيرهم ، وأنا سيكون لى قبرى مع قبر أمى ، وأختى ابنتك . اللهم الا اذا كنت أنا وزوجتى بعيدين جدا مع ابنتى فيما بعد . ستكون فى بلاد أخرى اعتقدنا أنها أفضل . اعتقدنا أنها أفضل .

الأب : ستنقلب الأرض . كل شىء سيصبح رأسا على عقب ، وقد تقتل الأرواح بدورها ، ولم يبق أمامك من العمر الكثير ، فدعنى ألقى نظرة على أعمالك التى قمت بها ، على مؤلفاتك .

جسان : نعم سأريك هذا كله .

(ينهض . يتوجه نحو منضدة، يفتح الأدراج، يخرج منها أوراقا ، الأب يتبعه . الابن يفتح درجا ويخرج منه أوراقا) .

الأب : هذا كل شىء ، كراسات مبدوءة ، وأوراق غير واضحة ، لا شىء واضح ، لا شىء يقرأ . بل لقد حاولت أن ترسم بعض الأشكال . لقد سبق أن قلت لك انك غير موهوب فى الرسم . لا شىء واضح . هذا الذى تسميه انتاجك : حروف وحروف وأوراق قليلة وتوقيعات وتعتقد أننا يمكن أن نأخذ ذلك فى الاعتبار . لاشىء هناك يا بنى ، أنت لم تترك أية رسالة ، كل ما هناك أنك سطرت بعض الكلام التافه الفارغ والجمل المبتورة ولعلك تظن نفسك نبيا مرسلا ، شاهدا على العصر . لا توجد أية شهادة واضحة ، كل هذا خواء .

جسان : لقد تصورت فى وقت من الأوقات أننى أنجزت شيئا ذا قيمة . ليس هناك شىء . لقد أدركت منذ فترة أن كل ذلك ليس سوى خواء ، كلام فارغ .

الأب : لا عليك ، لم ينجح أحد فى عمل شىء . العالم ليس خاضعا لمشيئة أحد . العالم خاضع لمشيئة الشيطان اذا لم يشأ الله أن ينتزعه من بين يديه . هو الوحيد القادر على أن يضفى معنى على الخليقة التى دنسها الشيطان ولطخها ودمرها . قد يتم اصلاح كل ذلك وعلاجه . وبذلك نستطيع أن نفهم شيئا .

جسان : سأقدم لك صديقتين من أصدقائى .

(سيدتان تدخلان) .

تأتيان فى أحلامى لكى تعرفهما وتضحكاك .

(السيدتان تجلسان على ركبهما على الأرض كل فى مواجهة الأخرى ، تمثلان له الديك والدجاجة : الأولى تصيح : « كوكو كوكو ! »

والثانية « قاق ! قاق ! » تستمران فى ذلك بعض الوقت فى حين يتحدث الأب والابن) ٠

الأب : كلهما حياة وحيوية ، صديقتاك ٠

جـــان : نعم ، كنت أعتقد أنك ستسر بهما ٠

الأب : ما هذا ؟ كأنهما الديك والدجاجة ٠ نعم ، هما كذلك حقا ، وليستا روحين أو شبحين ٠

الحماة : اخرجا أيتها الدجاجتان والا جعلت ديكى يطردكما ٠

(السيدتان تتوقفان) ٠

لاتحضر دجاجا فى بيوت الناس الذين ماتوا منذ زمن بعيد ٠

(من اليمين تصل سيدة أخرى تحمل مكنسة وتدفع الى الخارج بالسيدتين الدجاجتين اللتين تختفيان وهما تواصلان تمثيلهما) ٠

ها نحن وحدنا مع أنفسنا ٠

جـــان : (للسيدة الضخمة)

يجب أن تعالجى نفسك ٠

الأب : هنا ، لا يوجد حزن ولا كآبة ، نحن فيما وراء الحزن ، فيما وراء الفرح ٠

جـــان : أنتم أشباح لها ذاكرة ٠

جـــان (آخذا المرآة)

هذه مرآة جيدة ٠ أتعرف ملامحى ، فعلا ٠ ذبلت بعض الشىء ولكنها مع ذلك ملامحى ٠

الأم : أنت لم تتقدم فى السن ، لم تتغير ، فمن السهل أن تتعرف نفسك ٠

جـــان (وهو ينظر باهتمام أكثر)

نعم ، هذا صحيح٠ ملامحى هى هى٠ التجاعيد نفسها ، تجاعيد خلقية ولدت معى ، كنت الاحظها وأنا طفل صغير ٠

أين نحن اذن هنـا ، نحن فى بوخارست ؟ هذا ما يبدو لى ٠

الأم : نحن فعلا فى بوخارست ٠

جـان : يبدو لى أنى أتعرف هذا المنزل ٠

الأم : هذه شقة زوجة أبيك الثانية ٠

جان : ولكن أنت، من تكونين ؟ يبدو لى أننى أعرفك منذ زمن بعيد ، ولكن من تكونين بالضبط ؟

هل أنت زوجتى ؟ هل أنت ابنتى ؟ هل أنت شقيقتى ؟ أنا متأكد أنك واحدة من هؤلاء الثلاثة٠

أبى غنى كما تعرفـين ، وهو يعطيـنى مالا كثيرا ٠

الأب : سوف نذوب ونتلاشى ، ليس على الفور ، حيـنما يـأتى الآخرون ، حيـنما تخلـو المدن والسهول ٠

(نسمع فى الخارج صراخا ضعيفا ، طلقات رشاشات خافتة) ٠

الأب : نعم ، نحن نســمع ذلك كله ٠ ولكنـه لا يضايقنا ، نسمعه مكتوما ٠ نسمعه فى السر ٠

الحماة : ولكن أنا لم أقل كلمتى بعد ، لم أقلها طول حياتى٠ قلت غيرها كلمات كثيرة لم تكن كلماتى٠ مازالت كلمتى لم أقلها بعد ٠ لم أقلها بعد ٠

(جـان يدخـل من جهة اليمين ٠ فى الوقت نفسه، سيدة تدخل من جهة اليسار٠ الشخصان

يلتقيان فى منتصف المنصة) ٠

السيدة : (من المفروض أنها الأم) : هذا أنت يا جـــان ؟

جـــان : أعتقد ذلك ٠

(يبحث فى جيبوبه ، يخرج بطاقة شخصية)٠

حسب هذه البطاقة التى أحملها ، أعتقد أننى جـــان ٠

(يتطلع حـوله) ٠

لا أرى مرآة ٠

الأم : هذه مرآة جيب صغيرة ٠

الأم : أنت لم تستطع أن تكسب مالا بنفسك ، بشـعرك وقصـائدك ٠ انها لا تسـاوى شيئا قصائدك هذه ٠

جان : لحسن الحظ ، أبى يدللنى ٠ وأحيانا يكون قاسيا للغاية ، وأحيانا كريما للغـاية ٠ لقـد أنفقت حتى الآن خمسمائة ألف فرنك وبقى مائة ألف ، وسـأطلب منه المزيـد اذا كان ما يزال متيسر الحال ٠

فى هذه اللحظة هو يدللنى ٠

(جان يتطلع حوله) ٠

لماذا يوجـد حجرات كثيرة فى هذا المنزل ؟ من الممكن للمرء أن ينام تارة فى هذه الحجرة ، وتارة فى تلك٠ وتوجد أطعمة داخل البلاكارات٠

الأم : أنت تسرف فى الأكل ، تأكل دائمـــا ، سيزيد وزنك ٠

(جان ينظر فوق المنضدة) ٠

جان : ما هذه الكتب المكدسة هنا ؟ كتب قديمة ، قديمة جـدا ٠

(يأخذ أحدهـا) ٠

هذه حروف غريبة ، حروف هيروغليفية ٠

الأم : هذه كتب دينية ، باللغة الرومانية القديمة٠

جـــان : لا أكاد أفهـم منها شيئا ، بل هى غير مفهومة بالمرة ٠

الأم : أنت نسيت اللغـــة الرومانيـــة ٠ نسيت الرومانية ، حتى الرومانية الحديثة ٠

جـــان : بلى ، أنا أعرف مع ذلك كلمة من هنـا وكلمة من هناك ٠ هناك صلبان ٠ مازلت أقرأ ٠ أعرف كلمة « ملاك » ٠

الأم : لا تأكل جميع البرقوق ٠

جـــان : وهذه الأوراق ، أوراق اللعـــب ؟ يبدو لى أنها لمعرفة الحظ ٠

الأم : قلت لك أن تكف عن البحث فى البلاكارات وفى الثلاجة ٠ كفى أكلا ، هذا يكفى ٠

(جان يعود الى المنضدة) ٠

جـــان : ما هذه اللفافة ؟

(يفتحها) ٠

أوراق مالية كبيرة ، وأوراق مالية أخرى ٠

الأم : هذه الأوراق المالية ألغيت ٠ ليس والدك الذى أرسلها ٠

جـــان : لابد أنه خالى ارنست . يجب أن أسترد هذه الأوراق المالية ، فلم يعد لها قيمة .

الأم : خالك ارنست لا يصنع غيرها . أنت تعرف أنه لا ينصلح ، فهو غشاش .

جـــان : لكى أسترد هذا كله ، يلزمنى أمـوال كثيرة ، أكثر مما أملك .

الأم : انظر ، هذه زوجة أبيك .

(زوجة الأب تدخل من اليمين) .

جـــان (لزوجة أبيه)

مدام ، يلزمنى خمسمائـة الف فرنـك لكى أدفع لخالى ارنست ديون أمى وعائلتها .

زوجة الأب : يالك من عنيد ! . قلت لك مائة مرة قل لى هيلين ولا تقل لى مدام .

جـــان : أنت تعرفين أننى لا أحب اسمك . ثم انك بالنسبة لى غريبة .

زوجة الأب : اذا كنت غريبة ، فلماذا تطلب منى المال دائما ؟

جـــان : ساعيده لك .

زوجة الأب : تقول هذا دائما .

جـــان : أؤكد أننى ساعيد لك هذا المال مع ١٠٪ فوائـد .

(يدخل رجل عجوز وسيدة عجوز . الرجل العجوز لن يتكلم) .

جـــان (للقادمين)

أهلا يا جدتى ، أهلا يا جدى .
(يقبلهما) .

أماه ، لماذا صرت عجوزا هكذا . انك فى مثل سن جدتى مع أنك ابنتهما .

الأم : لقد بلغت سن والدى . فنحن نتقـدم فى السن أيضا فى العالم الآخـر . نصل الى العام المائة ثم نتوقف . أنت أيضا ستتقدم فى السن وتصبح عجوزا حينما تأتى عندنا .

جـــان : أنا فى انتظار أبى ، فهو الذى يجب أن يأتى ليدفع عنك ديونك .

الجدة : الدين لا يمكن أن ينتظر ، وأبوك لا يدفع شيئا . لابد من انقاذ ارنست . انه غارق فى ديونه . وعلينا أن نخرجه مما هو فيه .

زوجة الأب : دائما تطلبون المال من زوجى (للأم) أنت لست زوجته ، لم تعودى زوجة له .

الجـدة : ولكن جان ابنه ، وله الحق فى جزء من دخول أبيه .

زوجة الأب : ليس له اى حق ، لأنه بالغ .

الجدة (لزوجة الأب) : حتى حينما كان طفلا صغيرا لم يكن أبوه يريد مساعدته بسببك أنت . فقد كنت تمنعينه .

الأم (للجدة) : دعك يا أماه من هذا . ولنكف عن الحديث فى هذه الموضوعات . سأحاول أنا أن أجد المال اللازم . سأدبر الأمر .

جـــان (للأم) : كلا ، يا أماه ، أنت لا ينبغى أن تدفعى شيئا . أنا فى انتظار أبى ، هو الذى ينبغى أن يحضر ليسدد الديون لتخليص خالى ارنست . وعلى أية حال فان هذا المال هو مدين لك به . ولم أشـــعر بالأسى لأنـك طعنت فى السن على هذا النحو منذ أن هجرتنا جميعا .

(تدخل سيدة) ٠

السيدة : ذلك أنها لا تشعر بالراحة هنـــاك ٠ والا ، فمهما قالت ، فانها تبدو شابة فى مقتبل العمر ٠ حينما يكون الانسان مرتاحا هناك فان الزمن يرجع الى الوراء ٠ كذب ما تزعمه من أننا نتقدم فى السن فى العالم الآخر ٠

جــان (للام) : كيف السبيل الى ازالة تجاعيد وجهك وبث القوة والحيوية فى أوصالك ؟

الجــدة : يجب أن تتزوج أباك مرة أخرى ٠

زوجة الأب : أنا هنــا فى دارى ٠ فى بيتى ٠

لن يخرجنى أحد من هنا ولن يسلبنى أحد زوجى٠

الزوجة (لزوجة الأب) : هو لا يحبك كثيرا ٠ بل انه لم يعد يحبك بالمرة ٠ هو الآن من المفروض أن يكون معه خليلته ، عشيقته الغجرية ٠

زوجة الأب : هراء ما تقولين ٠ لقد اختار لنفسه ولى مقبرة واحدة ٠ ولم يعد يحبها ٠

الأم : ولا أنت كذلك ٠

زوجة الأب (لجان) : أنا صــالحة وذات دين ، وسأساعدك بالرغم من كل شىء ٠ ولكن لا تحاولوا أن تسلبونى زوجى ٠ فلن تستطيعوا ٠

الزوجة : مادام هو الآن مع الغجرية ، فانها هى التى سلبته ٠

زوجة الأب : هو مع الغجرية للهو والتسلية ٠ ولكننى أعرف مشاعره الحقيقية ، لقد اختارنى وهذا شىء لا عودة فيه (لجان) جميع أفراد عائلة أمك هم قوم من نوع آخر ٠ كان ينبغى أن ينفصل عنهم ٠ معى ومع اخوتى وأبنـاء عمومتى يشعر أنه على ما يرام وأننا نتحدث لغة واحدة ٠ وفى انتظار أبيك، وحتى أثبت لك أننى صالحة وذات دين ٠ ســأعطيك خمسمائــة ألف فرنك ٠ لن أعطيك سوى أربعمائة ألف وترد لى الباقى ٠

(جان يبحث فى جيوبه) ٠

جــــان : عجبــا ، لقد وجدت مائة ألف فرنك ، لم أكن أعلم أن معى كل هذا المبلغ ٠

الجــدة : هذه الأربعمائة ألف فرنك ، يجب أن تدفعيها من جيبك الخاص ٠ فهى بعض ما سرقته من ابنتى ٠ سنسترد بعضه ٠

الأم : لنكف عن التحدث فى هذا الموضوع ، فانه يسبب لى ألما شديدا لا طاقة لى به ٠

(يســمع ما يشــبه رنين الهاتــف ، ولكن لا يوجد هاتف) ٠

الصوت : آلو جـــان ؟

زوجة الأب : يطلبونك فى الهاتف ٠

جــان : من يتكلم ؟ صوت مجهول لا يريد أن يعلن عن صــاحبه ٠

زوجة الأب : ما هذه الأصوات التى تطلبك هنا كأنك فى بيتك ؟ هذا بيتى أنا ٠

الزوجــة : ان ما تســـمينه بيتــك قد تم غزوه والاستيلاء عليه ٠ انه ملك للجميع ٠

زوجة الأب : كل شىء هنــــا يخصنى مادام ملكا لزوجى ٠

جــان : لاشىء يخص أحدا ، أو كل شىء يخص الجميع ٠

الجــدة : مادامت ابنتى كانت أول زوجة لأبيك يا جان ، فان لنا الأولوية ٠

الصوت (لجان) : أمك وجـــدك وجدتك خرق

بالية · عجائز فقراء · فى حاجة الى كثير من المال، ثم لابد من انقاذ ارنست من السجن ·

زوجة الأب : كلهم لصوص نصابون ، يالهـا من أسرة ! لقد أحسن زوجى صنعا اذ تخلص منكم ·

الجدة (لزوجة الأب) : وأنتـم كذلك ، لستم أفضل منا · على الأقل نحن لم نختلس حقوق الفلاحين · لم نؤذ أحدا · أخوك اغتنى من السرقة ومن أجـل ذلك فهـو موظف كبير · هذا ظلم وسيعاقب الله عليه · وأخـوك ، قاتل ، حكم بالاعـدام على الأبـرياء (لجان) سـنأخذ الأربعمائة ألف فرنـك ونرحـل ثم تأتى أنت لتلحق بنا ، نحن فى انتظارك ·

(الجد والجـدة والأم يخرجـون · الأم وهى خارجة ، لجان) :

الأم : اقبلك يابنى · ونحن فى انتظارك ، دون أمل كبير ، سوف نظل ننتظر الى مالا نهاية ·

زوجة الأب : (بمجرد خروج الآخرين) :

كل هذا مهزلة بغيضة · كنت أتوقع كل هذا، ولكننى قوية ولن أتنازل · سأحافظ على زوجى وبيتى وثروتى ·

السيدة : هذه أنانية مفرطة ، واستهتار ·

زوجة الأب : لايهمنى ·

(تخرج هى أيضا) ·

جـان : (متمددا فوق أريكة) :

رائع أن يستريح المرء · وجميل أن نكون على قيد الحيـاة · عنـدى من المال أكثر مما كنت أتصور · بالاضافة الى هذه البذلة التى أرتديها، عندى ثمانى بذل غيرها · يعنى المجموع تسعة · وحوالى عشرة أزواج من الأحذية ·

السيدة : أنت قمت وماتزال تقوم بأعمال عظيمة فى حياتك ، فاطمئن وكن راضيا ·

جـان : ما أجمل أن يرتاح الانسان ! ·

(ينهض فجأة) ·

السيدة : انظر ، هذه حقيبتك ملأى بالأموال · كان ينبغى أن أقول أنـا لك ذلك · انك حتى لم تكن تعرف هذه الحقيقة ·

جـان : وهذا سبب أدعى لكى أعطى منها للعائلة، لخالى ارنست · هو شخصيا لا يساوى شيئا ، لكننى لا أستطيع أن أتركه فى محنته ، ثم ينبغى أن أذهب لألحق بأمى وجدتى وجـدى · هل ما يزالون يسكنون فى شارع كلود تيراس ؟

السيدة : طبعا ، بل لقد أبرقوا لنا من هناك ، وأرسلوا لنا بطاقات بريدية ·

جـان : لا يوجد قطـار مباشر للوصول · فهل تعرفين الحافلة التى ينبغى أن أركبها ؟

السيدة : هناك عربة بجواد تنتظرك أمام الباب ·

(تذهب الى أقصى المسرح وتنظر) ·

بل عربة بجوادين وأخرى بثلاثة جياد ·

جـان : هذا يكلف الكثير من البقشيش الذى نعطيه للسائق ، ثم لابد من وقت طويل للوصول الى الطرف الآخر من المدينة ·

السيدة : سأذهب لاحضار سيارة أجرة ·

جـان : هذا أجمل · ولكنك لن تجدى · فى هذا الحى لا يوجد موقف لسيارات الأجرة ·

السيدة : قد أعثر على سيارة فى الحارات ، فى الأزقة · فهناك ركاب ينزلون من سيارات الأجرة والسائقون ليس لديهم ما يشغلهم ·

جـان : السائقون يرفضون الذهاب الى هناك ، فهذه هى الساعة التى يعودون فيها لتناول الطعام·

(السيدة تخرج) ·

سيارة الأجرة صعبة ، صعبة ، هنا ٠ الجميع لديهم سياراتهم ٠ فيما مضى كان هناك الترام ٠ (يتوجه الى المنضدة)٠

هذه الكتب كلها التى لا أفهم منها شيئا ٠ لابد وأنها كتب تضم بين سطورهـا ما ينبغى عمله حينما نقبل على الموت أو لمن يكون قد مات حديثـا ٠ ولكن هذا المكتوب هل هو صحيح ؟ انها كتب قديمة ، تجارب قديمة ، قديمة جدا ٠ على أية حال أنا لا أفهمها ، فقد نسيت اللغة ٠ حاليا ، أنا غنى جدا ٠ لا أملك فقط هذا المنزل ٠ وانما أنا أسكن منازل عديدة ٠ وفى كل منزل لى عدة أسرة ، أغـير سريرا كل ليلة ٠ فأنا لا أحب أن أنام فى السرير نفسه ٠

★

(**الديكور** : نفسه) ٠

(الشخص نفسه جالسا فى كرسى موسد)٠
جـان ٠

ماذا ؟

(وقفـة) ٠

(من جهة اليسار يدخل شخص (جان (١)) يشبه بطريقة غريبـة الجالس فى الكرسى ٠ من جهة اليمين يدخـل شخص (٢) يشبه أيضـا الجالس فى الكرسى ٠ ولا يتحرك أبدا ، ولكن يبدو عليه أنه هو الذى يتحدث) ٠

(من جهة اليمين فى الوقت الذى يدخل فيه الشخص من اليمين يدخل شخص آخر (٢) يشبه أيضا الجالس فى الكرسى لكنه عجوز ٠ سوف يخاطب هو أيضا الشخص الجالس فى الكرسى ٠ سنفهم بسرعة أنه أبوه ٠ هو أكبر سنا وملابسه مشابهة ، لكن الداخل من اليسار هو الذى سيرد بدلا من الجالس فى الكرسى) ٠

(يجب أن نتوصـل الى طريقة لكى نجعـل المتفرج يدرك هذا الأداء المركب ٠ ربما نجعـل الشخصين وبخاصة المسن (٢)، يخاطبان الجالس فى الكرسى) ٠

الشخص (٢) (للأب) : بعـد كلمتك الأخيرة ، تركت لك قرنا من الصمت ٠ وأخيرا ، هانت ذا ! هانت ذا الى الأبـد ! هـل عثرت على ذكرياتك جيـدا ؟

جـان : كان لابد لى من وقت ٠

الشخص (٢) (للأب) : بالرغـم منى ، قمت بعمل ما أردت فى الحياة ، كنت أحلم لك بمستقبل آخر ، بوظيفة أخرى ٠ موظفـا كبيرا فى السلك السياسى ، أو قائدا فى الجيش ، أو مهندسـا كيماويا ٠ أنت رفضت طاعتى ٠ أنا أعرف ، وأنا لا أحقد عليهـا ، أمك هى التى كانت تدفعك فى اتجاهات أخرى ٠

جـان : مازلت تحقد عليها ! ستظل تحقد عليها الى الابد ٠ وطالما تحقد عليها فلن تدخل الجنة ٠ لقد حضرت هنا ٠ وجلست فى الكرسى الخاص بى لكى أجيب على أسئلتك ٠

الشخص (٢) (للأب) : لا ترهقنى ! يجب أن أعترف أنك نجحت فى حياتك العملية فى الدنيا ، فهل هذا سيفيد هنا ؟ لو كان هذا ممكنا ، لوجب علينا أن نبدأ من جديد ! نبدأ من جديد ! ولكنك فى النهاية نجحت ٠ نجـاحا باهـرا ٠ رئيس أكاديمية ، ورئيس مدرسة أدبية ، تتعرض لهجوم كثير من الخصوم ٠

جـان : لا يمـكن أن نحظى باعجـاب الجميع بالاضافة الى الوالد٠ كان لى دائما من الخصوم أكثر مما كان لى من المؤيدين والمجاملين ٠ ولكن كنت أجد العون المفيد ٠ أكبر النقاد ، أعظم أساتذة علم الجمال ٠ لقد قمت بانشاء معالم من الأدب والشعر ٠ لم يكن هناك من يفوقنى فى عصرى ٠

حينما كنت طالبـا ، كنت تدخـل حجرتى وكنـت تبحـث فى أدراجى ٠ وكنـت تراقـب كراسـاتى كنت لا تجـد فيها سـوى رسـوم كاركاتورية بدلا من الواجبات المدرسية التى كان يفرضها على المعلمون ، الأساتذة٠ وكنت تجعلنى أراجع دروسى وأستظهرها لك عن ظهر قلب ، ولم أكن أعرف منها شيئا ، ومع ذلك فقد نجحت

فى الثانوية . ومع ذلك نجحت فى سائر الامتحانات . وحصلت على جميع الدبلومات . لانهم ، هم ، أدركوا أننى عبقرية . كانوا يعرفون أنه اذا كان أبى يشعر بالخجل منى ، اذا كنت أنت تشعر بالخجل منى ، وأنك كنت تحبسنى فى حجرتى ، واذا كنت تخفى جميع كتبى الأدبية ، واذا كنت أنت تقوم باحراق مؤلفات دوستويفسكى وكافكا وكتب فلوبير وكيركجارد ، كنت أنا نفسى واحدا منهم ، كنت فلوبير وكنت كيركجارد .

كنت تصفعنى على وجهى . كنت تضربنى ، أما هم ، أساتذتى ، فكانوا لا يعبأون بالأصفار التى أحصل عليها فى الرياضيات . هم ، كانوا يثقون بى ، وكانوا يعيروننى الكتب التى كنت أنت تحرقها بالنار . وكانوا يطلبون منى أن أقرأ فى الفصل مسرحيات راسين وشكسبير خلال حصص الفيزياء . وكان أساتذة الفيزياء يغضون الطرف عن ذلك .

الآن أنا أصفى حساباتى معك وألومك على كل ما كنت تمنعنى من عمله ، أنت رب الأسرة الأعمى . أستاذ الكيمياء الذى كنت تحضره الى المنزل لكى يعدنى لامتحان الهندسة الكيماوية كان يحضر لى فى السر الكتب الممنوعة ونسخا من لوحات ليوناردو دافينشى . لقد فررت منك ووجدت أصدقاء ساعدونى .

لقد حبستنى طول فترة مراهقتى . ولكنك لم تستطع أن تصنع شيئا ضد رغبتى . كنت أنا الأقوى ، الأقوى .

الشخص (٢) (للأب) : أجل ، يا بنى ، كنت تذهب بخاصة عند أمك . هى التى كانت تساعدك فى حربك ضدى . لم تكن من حزبنا . وكان هذا هو سبب سوء التفاهم والخلاف بيننا . المفروض أنها ماتت الآن هى أيضا ، فى مكان ما .

جان : كانت تشعر بالفخر من انتصاراتى عليك . ولكنها كانت تشعر بالفخر بصفة خاصة من نجاحى . كنت أنا على حق .

الشخص (٢) (للأب) : فعلا ، هذا صحيح ، أنا أعترف . أنت حصلت على المجد . كنت شهيرا بين الاحياء . أقصد بين المقبلين على الموت ، فهل يتذكرك الموتى ؟ كنت مجهولا لهم . نعم ، نعم ، أنا لا أستطيع أن أنكر أننى كنت لا أؤمن بنجاحك ، كنت لا أؤمن بذكائك . كنت من جنس أمك ولم تكن من جنسى .

جان : كنت دائما ساخطا وعنيفا وكنت تضرب خدمك وكنت تشتم مستخدميك ومرؤوسيك .

الشخص (٢) (للأب) : لقد ماتوا جميعا اليوم ، ولم يعودوا يذكرون لا اعمالك المجيدة ولا عنفى وشدتى . لقد تساوت الخسة والعبقرية ، ولكن ، كلا ! أنا أريد أن أتوب .

جان : يجب عليك أن تتوب .

الشخص (٢) (للأب) : يجب أن أتوب . ولكن هل كان النظام أسوأ من الجنون الذى جعلته أنت فى رؤوس الناس ؟ لم تعد هناك قيمة لهذا ولا لذلك . ولا أحد يكون خسيسا الى الأبد . ان الأبدية تسوى بين الجميع . كلا ، كلا ، يا بنى اننى أقول أى شىء لكى أدافع عن نفسى . أنت كسبت ، يا بنى ، لست أدرى ماذا كسبت بالضبط ، ولكن من المؤكد أنك كنت تتمتع باحترام وتقدير الكبار . كنت أرى عناوين مؤلفاتك فى المكتبات العامة وعند الباعة .

لم أقرأ شيئا منها كل ما أعرف عنها عرفته بالسماع . أصداء واشاعات ، أصداء ، أصداء . أما الآن وقد أصبح لدينا الوقت، فأرنى ما صنعت حتى أعرف قليلا وحتى تدمرنى هزيمتى أكثر وأكثر . وحتى أقدر مجدك حق قدره وحتى يكون اعجابى بك عن معرفة ويقين .

جان : سأريك هذا . كل شىء فى الأدراج كما كانت الحال أيام الطفولة .

الشخص (٢) (للأب) : أرنى ! أرنى يا بنى !

(منضدة فى مقدمة المنصة . الشخص الجالس فوق الكرسى الموسد ينهض . يتوجه ناحية المنضدة . يفتح أحد الأدراج ، ثم يفتح درجا آخر ، ثم درجا ثالثا) .

جان : ها هو ذا !

(يخرج من الأدراج أوراقا صفراء وكراسات ممزقة تتساقط فوق الأرض ويلتقط بعض أوراقها) .

(الأب واقفا يتأمل كل هذا بنظرة تخلو من التعبير) .

(جان يخرج أيضا أسلاكا حديدية ، وقطعا من الأسلاك الصدئة ، وكتابا للتدبير المنزلى وأشكالا كاريكاتورية قبيحة وخرقا بالية قذرة وأقلام رصاص غير مبرية جيدا وزجاجة حبر ينسكب ما فيها ويلوث المنصة) .

جان : هاك ، هاك كل ما صنعت !

الشخص (٢) (للأب) : هذا كل ما كنت تحتفظ به فى أدراجك اذ كنت طفلا صغيرا .

جان : لا أكثر ؟ هذا كل شىء ، أعتقد أننى نسيت أشياء فى مكان ما ، هذا كل شىء !

جان : هذا كل شىء ! ولكن ما كان ينبغى لى أن أقتل نفسى من أجل ذلك . نعم يا أبى ، هذا كل شىء . أين الآثار التى خلفتها ؟ أين المجد الذى حققته ؟

(يفتح درجا رابعا ويخرج منه حفنة من التراب) .

ها هو ذا ! أهذا أفضل من لا شىء ؟

الشخص (٢) (للأب) : هذا كل انجازك !

جان : كل شىء معروض على بساط البحث والمناقشة . كل شىء خاضع للمراجعة والتمحيص .

(يعود الى كرسيه) .

ولكننى سأواصل الدفاع عن الغرب ، عظمة العالم الاغريقى ومجده . الحرية التى تقلدها ايانا الكواكب الكونية ، الوجودية والعلمانية ، حق الاستنتاج ، المضاربة الفالينتينية ، وشدو اللؤلؤ . الدفاع عن الغرب ، الدفاع عن الغرب ، رقص الطرب ، الحملة الايطالية وغزو روما ، والدفاع عن الغرب . وغرب الدفاع وأسنان الدفاع ودفاع الغرب ، ودفاع الجمجمة ومسيرتى السياسية . ولائحة الانسان ، الثقافة والمعتقدات الشرقية ، الدفاع عن الغرب وأسنان الدفاع وسباع الأسنان .

(ينهار) .

★

(الديكور : شقة عتيقة ، حقيرة) .

(الشخوص : السينمائى ، جان ، الجدة ، الـ...خ) .

السيدة العجوز : جان ! جان !

(يدخل جان من أقصى المسرح) .

جان : نعم ، يا سيدتى ، هأنذا ؟

السيدة العجوز : أنا ليست سيدة ، أنا جدتك . أنت لا تعرف أبدا اذا كنت جدتك أو الحارسة العجوز . تخلط بيننا دائما .

جان : سامحينى ، فهمومى كثيرة ، تملأ رأسى .

السيدة العجوز : وأنا ! فى مثل سنى ! ماذا أقول !

جان : لا شىء يمنع أن تكون الجدة حارسة أيضا .

السيدة العجوز : المنتج الذى تنتظره ، المنتج السينمائى ، حضر ليقدم لك العرض الذى

يقترحه . سو شعرك قليلا ورباط عنقك . انه يعرض عليك ٢٠٪ من الأرباح .

(تختفي) .

(يظهر السينمائي من جهة اليمين) .

السينمائي : اكتب لي السيناريو ولك ٢٠٪ من الأرباح عن الايراد وواحد تحت الحساب .

جـان : يمكنك أن تعطيني النصف الآن . لعلمك، انا مازلت قادرا على تقديم افكار قيمة ، لدى الكثير من الافكار المثيرة . لست عجوزا ، لابد وأنهم أخبروك بذلك . ثم ان هذا واضح ظاهر . فطالما الانسان يحلم فهو ما يزال شابا . آسف لأني طلبت منك الحضور هنا في هذه الشقة التي تضرب فيها الفوضى. فيما مضى حينما كنت أسكن هنا أنا وزوجتي وابنتي ، كانت الشقة تلقى الكثير من العناية . أما الآن ، فأنا لا أعود اليها الا من حين لآخر ، أنا بالذات ، فأنا لم أعد أسكن في هذا الطابق الأرضي المظلم . أسرتي الآن في الريف . وقد عدت أنا لبعض الوقت لكنني لا اقيم في هذا السكن المظلم . انا لست خالي الوفاض وانما عندي خير كثير . شقتي في شارع « باتيـه » أكبر من ذلك بكثير ، لكنني أقوم فيها ببعض الاصلاحات . وهذا هو سبب وجودي وتحديد لقائنا هنا . أنا في حاجة لأكون في باريس من آن لآخر ، فأنا أيضا أملك منزلا كبيرا في الريف ولكنه بعيد جدا، حتى بالسيارة، عبارة عن قصر كبير أمتلكه في الريف ، قصر ، فيه العديد من الحجرات والصـالونات الحافلة بالأثـاث القديم . عندي أيضـا قاعة استقبال حديثة واسـعة جدا . كما أن عندي مساحات واسعة كثيرة أقمت في بعضها قاعة مسرح ومنصة تمثيل بمدخل خاص للممثلين . عندي أيضـا مسطحات عليـا زرعت فيها بعض الأشـجار . وسيتعين على أن أقصها لتقصيرها حينما تصل الى السقف . لقد وصلت الآن الى ارتفاع كبير . كما أن هنـاك بحيرة صناعيـة ومع ذلك بقيت عندي مساحات شاسعة تحت الاعداد : مروج ومراع ، ولكنني لا أملك المال الكافي لاستغلال كل هذه المساحات . هذا يحتاج الى الملايين . ولعلي أحصـل على ذلك من هذا السيناريو . لا داعي لأن نطلـب مهندس ديكور لتصـميم الديكور . فالديكور موجود في قصري . كما أن هنـاك ما يكفي من بلاتوهـات وستوديوهـات لتصوير كل ما نريد ، ولكن يجب أن أحصـل على المال من السيناريو . اذا قمت أنا بتقديـم الديكورات وأماكن التصوير فيمكنك أن تعطيني ٣٠٪ ، ٤٠٪ ، ٥٠٪ ؟ أجل ، فينبغي أن أعتني بقصوري ، ففي قصوري أجنحة يمكن أن تسقط وتنهار اذا لم أعتن بها . هنـاك بعض الأطلال والخرائب ، ولكن هذه الأطلال والخرائب لا يجب أن نمسـها ، لقد عملت خصيصا . طبعا أنت تفهم كل ذلك . يمكن أن نوقع العقد .

السينمائي : ماذا ستكتب لي كسيناريو ؟

جـان : أولا ، الوصف . فيلم كامل . جاهز على التصوير ، جميع الفضاءات والجدران والأثاث وعشرات البحيرات الموجودة فيه . لن تحتاج الى تصوير خارجي ، مادامت جميع المناظر الخارجية موجودة بالداخل . لن نخشى من سوء الأحوال الجويـة .

السينمائي : هذا كله الجو ، ولكن أين الفعل ، الأكشان . (تدخل السيدة العجوز) .

السيدة العجوز : وصلت من الخارج . قمت برحلة ممتعة ، لكنها متعبة .

جـان : أهلا وسهلا يا جدتي .

السيدة العجوز : هل أنت متأكد أنني جدتك ؟

جـان : طبعا ، بالتأكيد .

(للسينمائي) .

عفوا ، يا سيدي ، هذه السيدة لست أدري اذا كانت جـدتي أو أمي ، اذا كانت أمي فقـد تقدمت في السن كثيرا .

(للسيدة) .

هل أنت أمي ؟

السيدة العجوز : مازلت فى انتظار المال ، مالى الذى تركته عند أبيك . مازلت أنتظره . أنت وعدتنى أن تطلبه منه . فهو مدين لى بهذا المال . ألا تجرؤ أن تذهب اليه ، هل أنت تخاف منه ؟ لقد تقدم بى العمر كثيرا وأنا أنتظر . لقد جئت مرة أخرى من الخارج على أمل أن يعطينى اياه ، لقد أصبح هو بفضل مالى من أصحاب المليارات .

جـان : (للسينمائى) : هذه أمى ، يا أستاذ

السيدة العجوز : لقـد أمضينا أوقاتا جميلة . صحيح كانت هناك بعض الرطوبة لأن القبو كان تحتنا مباشرة . ولكن مع الفحم وغلق النوافذ سار كل شىء على ما يرام . أنا أحب المنازل القديمة المظلمة . مع زوجتك وابنتك كنا سعداء وكأننا طيور فى وكرها .

جـان : كيف تقدم بها العمر الى هذه الدرجة ؟ هناك تفسير ، كانت تنتظر المال من والدى . لكنه ليس تفسيرا كافيـا .

(للسينمائى) .

هل تسكن بعيدا عن هنـا ؟

السينمائى : بل قريبـا جدا . فندق الكابيتول وليس الكوبول ، الكابيتول . أحـد الفنادق الكبرى . أنا أنزل فى الفنادق الراقية .

جـان : هذا فندق حديث ، جديد جدا . يبدو أنه أنشىء على وجه السرعة ، لأننى لم أكن أعرفه .

السينمائى : ليس لى محل اقامة دائم .

السيدة العجوز (لجان)

حينما ينصرف الأستاذ ، تعال لزيارتى فى مقصورتى .

(تنصرف) .

السينمائى : أحب أن أعيش هنا وهناك ، أنتقل من فندق لآخر ، من مدينـة لأخرى ، فى بلدان متفرقة . للوصول الى فندقى هنـاك شارعان أو ثلاثة شوارع قديمة وجميلة جدا .

(تتغير خلفيـة الديكور : نرى شوارع تمر وحدائـق) .

جـان (سعيدا على حين فجأة)

أخضر ، جميل ، والشمس ، ياالجمال الألوان! يا له من نور !

(لحظات تمضى على استعراض المنظر الطبيعى فى خلفية المنصة مع منازل رائعة وحدائق جميلة يتأملها جان فى صمت) .

السينمائى : أرأيت !

(ثم تظهر فى أقصى المنصـة أيضا ، شوارع أقل جمالا ، قذرة . النور الباهر اختفى) .

جـان : ياالخيبة الأمل ! مرة أخرى الحى الوضيع. ميدان سان كلو هذا ليس بعيدا جدا ، ولكن من العسير الوصـول اليـه بسـبب المرور ، لا يوجد سيارات أجرة ولا حافلات .

« الشخصان يسـيران فوق المنصـة كأنهما يسيران فى الشارع) .

(تبعا لامكانات الاخـراج ، من الممكن عدم عرض المنظر الطبيعى المذكور . يمكن الاكتفاء بضوء شديد ، ثم ضوء رمادى ضعيف) .

آه ! القصر المنيف !

(فعلا ، يبرز فى أقصى المسرح صورة قصر) .

(الديكور يتغير : المنصة تنقسم الى قسمين : الجهة اليسرى ، حجـرة فـاخرة ولكن سقيمة الذوق . ثم فى الجهة اليمنى من الحاجز الذى يقسم المنصـة : أسرة ، ثلاثة أو أربعة ، قذرة فوقها يتمدد أشخاص فى زى رسمى) .

السينمائى : هذه حجرتى .

جـان : وفى الناحية الأخرى ؟

السينمائي : لماذا أنت مندهش! لم يعد في الفنادق الحديثة التي ننشئها الآن حجرات خاصة بمعنى الكلمة · الشخص أو النزيل يفصله عن غيره نصف حاجز · ولكن النزلاء يعيشون في هدوء · حاليا هم من صف الضباط · لم يعد من الممكن أن نكون وحدنا ، كل ما هناك من الممكن الحصول على بعض الخانات في ركن من أركان الممرات · هذا لمنع الجواسيس ·

(يصل من جهة اليسار أحد موظفي الفندق حاملا حقيبة) ·

الموظف : الحقيبة يا سيدى ·

(يخرج) ·

جـان : وكذلك تستخدم موظفا من الفندق في حمل حقيبتك ؟ هذا شيء رائع ·

السينمائي : هذه احدى الميزات النادرة التي يتمتع بها السينمائيون ، من بين ميزات أخرى ، ولكنها نادرة · سأتركك الآن ·

جـان : أنا أيضا فيما مضى كنت أسافر كثيرا وحدى أتنقل من فندق الى فندق ، بلا محل اقامة دائم في جنوب فرنسا ، في ايطاليا ، ايطاليا القديمة ، واسبانيا ، أسبانيا الملكية ·

(غطاء السرير يرفع فنرى فوق السرير سيدة ممددة) ·

السينمائي : حذرا !

جـان : هي ناصعة البياض !

السينمائي : حذرا · لا يجب أن تمسها · يمكنك فقط أن تشم رائحتها وتطالع صدرها · أتركك الآن ·

(يخرج ويدخل رجل ضخم) ·

السيد الضخم : أيها الفتى ، التأمل أرقى من التملك ·

(تدخل سيدة) ·

السيدة : عدت من رحلة طويلة · كنت قد سافرت منذ زمن بعيد وأنت حتى لم تكلف نفسك بانتظاري في المحطة · مع أني أرسلت اليك برقية · تنسى دائما كل شيء ·

جـان : واأسفاه ! · نعم أنا أنسى كل شيء ·

السيدة : ذات صباح سوف تنسى أن ترتدى حذاءك وتخرج الى الشارع عارى القدمين ·

جـان : ومع كل فقد قمت برحلة جميلة !

السيدة : قمت برحلة جميلة · الجبال ، والسماء والبحر والبحيرات في السماء والسماء في الماء والأنهار كانت عذبة رقيقة ·

(**الديكور** : الدور الأرضي في شارع كلود تيراس الذى يتحول الى قصر هائل مثل قصر سبريزى ـ لا ـ سال) ·

جـان : كيف لا تكون هنا يا سيدى ؟ لقد عبرت الحى كله وجئت لزيارة أمي التي لم أكتب لها منذ زمن بعيد ، والتي لم أرها أيضا منذ زمن بعيد · لكن ، هي كتبت لى · وكانت هنا في الفترة الأخيرة ·

الرجل الآخر : لست أدرى عمن تتحدث · نحن حينما استأجرنا هذه الشقة كانت خالية · لم يكن بها أحد ·

جـان : أين يمكن أن تكون هي الآن ؟ أصبحت الآن بلا مأوى المسكينة !

السيدة : أنت ستسافر غدا صباحا ، يمكنك أن تنام الليلة هنا ·

جـان : لا أستطيع أن أقيم في حجرة يشغلها شخص آخر ·

السيدة : ولكن هناك سريران ، بل ثلاثة ، ستكون في سرير وحدك ·

جـان : فى القصر ، فى سيريزى ، اكتسبت عادة سيئة ، اذا شئت، كل شخص له حجرة خاصة .

السـيدة : ليس هذا فى طاحونة لاشابيل أنتونيز .

جـان : بالضبط ، هنا كانت الطاحونة .

السيدة : عندنا ؟ فى شقتنا ؟

جـان : نعم ، هنا . هنا بالضبط . على أيامى كانت تسكنها عائلة « لوانار » الأب باتيست والأم جانيت وماريا ، ألم تسمعى عن هؤلاء ؟ ممن اشتريت الطاحونة ؟

السيدة : لقد وجدناها مهجورة ، قمنا فيها ببعض الأعمال . كان يجب أن تعيدها الى حالتها . هنا تجد أفرادا عديدين فى الحجرة الواحدة ، فنحن عمال كثيرون ، هنا ليست حياة القصور .

جـان : على أيامى أيضا ، فى الطاحونة ، لم تكن حياة القصور . أما فى سيريزى فكانت حياة القصور . وشتان . حتى الآن أنا لم أستعد طمأنينتى تماما ، كان الخوف رهيبا . من يصدق أننى كنت أشعر بكل هذا الخوف ، قبل أقل من قرن ، هيـه ، قبل أقل من قرن من الزمان . طيلة قرن تقريبا، كنت لا أدرى من أين جئت . كنت لا أدرى الى أين أذهب . كنت لا أدرى أين كنت . ثم ، ولما أصبح الاستثناء عادة ، والشذوذ أصبح قاعدة ، قلت فى نفسى لعلى أكون فى بيتى بالرغم من كل شىء .

كلا، كلا . ليس دائما . بل أحيانا ، فى لحظات معينة . ومع كل فقد كنت أعتبر الحلم حقيقه .

رحت فى دوامة الأشياء . كانت لى مهنة اتخذتها هواية . كنت أعمل لكى أنسى الخوف . ولكن ، شعرت بأنى فى بيتى منذ لحظة معينة ، كانت هناك أشكال ، هناك أشياء فى الفضاء ، وفجأة اتخذت الأشياء أشكالا مخيفة ربما لكى تذكرنى بأننى لم أكن فى بيتى . فأين كنت اذن ؟ كان الكرسى أفعوانا برأسين ، وخزانة الملابس كانت شيئا يشبه البحيرة . بحيرة غريبة ، ما سر كل ذلك ؟

السيدة : هنا ، كما ترى ليس عندك سوى كرسى هو كرسى وحسب ، ومنضدة . يمكنك أن تضع يدك على المنضدة فهى صلبة ، يمكنك أن تلمسها .

جـان : فعلا ، هذا كرسى ولكنه لا يشبه الكرسى نموذج لكرسى ، كرسى نموذجى ؟ الكراسى المزيفة كانت هناك ، كانت عبارة عن أشباح كراسى ، ولعلها لهذا السبب كانت تتخذ أشكالا مرعبة أو عجيبة أو وحشية . لقد كان الخوف الشديد يتنابنى من الفراغ الأسود ، من نفق مظلم أهوى فيه ، وأسقط سقطة لا نهاية لها . ولكن الامر لم يكن كذلك ، هذا لم يكن كذلك ، أنا لا أصدق عينى ، هذا كرسى حقيقى ، كرسى أصلى . وهذه المنضدة منضدة أصلية ، أشعر أن كل هذه الاشياء حقيقية . ان وجودها يكفى للايمان بخلودها ، بواقعيتها . أما هناك ، فان الوجود المادى لا يبدو الا مظاهر وتخيلات . أنا هنا أشعر أننى أحسن حالا . أشعر أننى فى الواقع والحقيقة . ولكن هل هى فعلا حقيقة ؟ من المؤكد أننا نشعر أننا أحسن حالا ، أنا شخصيا أشعر أننى أحسن حالا . ولكن هل هذا هو كل شىء ؟

السيدة : نعم ، تقريبا .

جـان : اذن ، هى التقريبية ؟ لماذا تقريبا هذه ؟

السيدة : عليك بالهدوء لكى تعثر على أرواحك شيئا فشيئا .

جـان : هذا لا يشبه بأية حال من الأحوال العيادة الطبية ، لا يوجد عيادات عندكم ، أليس كذلك ؟ من المؤكد أننى فى مكان آخر . لا يسعنى الا أن أقول وأكرر القول بأننى سعيد ومندهش لأن هذا يتم بشكل طيب وأنه لم يكن هناك هاوية

مظلمة ، لجة بلا قرار . لم أشعر فى أية لحظة بدوار السقوط . لم أتقدم سوى خطوة واحدة ، فاذا بباب ينفتح لم يكن ظاهرا للعيان . وقد سحت فى العالم مئات الكيلومترات ، آلاف الكيلومترات ، والآن . لكى آتى الى هنا ، انفرج أمامى باب أو تراني دخلت من احدى النوافذ أو من خلال سطح زجاجى . حدث ذلك على غير علم منى . وهذه هى الرحلة الكبرى ، أكبر رحلة . ولكنك تقولين لى ان هذا العالم ليس حقيقيا الا بشكل تقريبى . ليس حقيقيا الا بالتقريب ، فأين الحقيقى اذن ، أين الحقيقى تماما ؟

السيدة : الهواء النقى الصافى ، الهواء الحقيقى تماما بدأت تشمه هنا منذ الآن . ومع ذلك فهناك مجرد المدخل ، المدخل الحقيقى الذى لايتحرك . يجب أن أصحبك الى أبعد من ذلك وأسير بك قدما . لا تخف ، فهذا شيء لا يخضع لمقياس ، لا بالطويل ولا بالقصير ، ولكن أن أصحبك مع قوم آخرين .

جان : كان ذلك يراودني ، فأنا أعرف من سألقى ، أليس كذلك ؟

السيدة : نعم أنت تعرف .

(السيدة هى صاحبة المنزل ، يبدو عليها سيماء القروية المزارعة) .

(الشخوص : سيدتان : السيدة سامبسون حماة جان ، وارليت زوجة جان وربما شقيقته أحيانا) .

السيدة سامبسون : أو السيدة الأولى :
لاتستطيع أن تنكر أن هذا يتحرك بلا توقف .

ارليت : أو السيدة الثانية :

لقد حشرنا فى وكر زنابير رهيب !
(تضحك) .

السيدة سامبسون : لو لم تكن هناك عائلة زوجتى .

ارليت : نحن فى وضع تعس ! لو سألونى رأيى لما وافقت .

السيدة سامبسون : حركة دائمة وفى الوقت نفسه لايتحرك .

ارليت : يتحرك ! لو أمكن أن يكف عن الحركة . ثم دائما الحركات هى هى ، بصورة دائرية الحركات هى هى .

السيدة سامبسون : حينما أموت . أوه يا الهى !.

ارليت : أتوقع دائما وقوع كارثة . وأتساءل كيف يمكن تجنب ذلك ! لو أن الأرض تنفطر !

السيدة سامبسون : انى أسمعهم ، انى أراهم . يتحركون ، وكذلك يتكلمون على ما يبدو لى ، ولكننى لا أفهم قولهم .

ارليت : أين يمكن أن نذهب اذا انفطرت الأرض؟ فى الحفرة ! سنسقط فى الحفرة قبل أن تنفطر.

السيدة سامبسون : قال لى بعض العلماء والقضاة وكبار الضباط ان القمر يمكن أن يقترب منا ويلتصق بالأرض .

ارليت : بل نحن الذين سنذهب الى القمر .

السيدة سامبسون : حينما أفكر فى ذلك تصيبنى الرعدة . فأين نختبيء ، يا عزيزتى ؟ أين نذهب؟

ارليت : يوجد مكان فى غابات الاستبس الروسية ، فى سيبيريا .

السيدة سامبسون : مكان لنا ؟

ارليت : القمر .

السيدة سامبسون : قبل ثلاثة أرباع قرن سقطت صخرة ضخمة ، عبارة عن جبل شاهق ، فى أغوار

سيبيريا ، فأحدث حفرة هائلة ، لكن الكوكب تحمل الصدمة .

ارليت : الناس فى أوروبا لم يسمعوا شيئا .

السيدة سامبسون : لو كان هذا أحدث صوتا كصوت الرعد ، فقد اعتقد الناس أنه الرعد .

أرليت : لم ترد أية اشارة لذلك فى أبواب الحوادث .

السيدة سامبسون : والدة جدتى سمعت بذلك . ولكن الرقابة سرعان ما فرضت الصمت فلم نجد أى صدى لذلك فى الصحف .

أرليت : من له مصلحة فى اخفاء كل ذلك عنا ؟

السيدة سامبسون : لعله الشيطان !

ارليت : أو بعض أعوانه !

السيدة سامبسون : اتفقوا فيما بينهم .

ارليت : لا نستطيع أن نعرف شيئا . كل هذه افتراضات .

السيدة سامبسون : هناك الأرض ، هناك النجوم ، فأين يتوقف كل ذلك ؟

ارليت : يجب أن نفعل مثل كلبتنا الصغيرة . لا ترهق نفسك بالسؤال .

السيدة سامبسون : نعيش كالكلاب !

ارليت : كل هذا يصل حتى السماء .

السيدة سامبسون : والسماء تعود علينا . تحيط بنا .

ارليت : والسماء هل هى بعد النجوم ، وراء النجوم ، أم هى موجودة وسط النجوم ؟

السيدة سامبسون : لابد أن هذا يمثل عالما آخر .

أرليت : وهذا العالم لابد أنه أكبر من عالمنا لكى يحتوينا ويضمنا .

السيدة سامبسون : أشعر بالرعدة من جديد حينما أفكر فى ذلك . هذا العالم المحفوف بالأسرار .

ارليت : يبدو أن الحياة كانت ستكون مستحيلة ان لم تكن هناك الأسرار والمخاوف والفزع والرجفة .

السيدة سامبسون : قد أسقط فى الحفرة . لن أحاول توجيه مثل هذه الأسئلة . ولكن هل ترانى سأرتعد فى برد الأرض ؟

ارليت : هناك مقابر نتعهدها بالصيانة والعناية .

السيدة سامبسون : لابد من انجاب أبناء يتولونها بالرعاية والصيانة . أنا سيكون لى وريثة سوف تصلى وتضع الزهور .

ارليت : وريثة ! بأموال حمى (صهرى) .

السيدة سامبسون : هذا من حقى ، فهو زوجى .

ارليت : لست أدرى اذا كان جان والقانون على اتفاق .

السيدة سامبسون : زوجى فوق القانون . هو الذى يهيمن على القانون .

ارليت : لا أحد أقوى من القانون .

السيدة سامبسون : الا اذا غيرناه . وسيغيرونه .

ارليت : أنت أنانية . من سيرعى مقبرة جان ؟

السيدة سامبسون : لديه أبناؤه . ابنا عن ابن . وهكذا حتى نهاية العالم . بعد ذلك . ستفتح

جميع القبـــور ، ولن يكون هنـــاك ضرورة للعناية بها ٠

ارليت : هناك قبور تعود الى ألف عام ، وما تزال تبدو نضرة كل النضارة ٠ وهناك قبور لا يزيد عمرها على ستة أشهر لكنها أصبحت قديمة ذابلة ٠

السيدة سامبسون : وهكذا نظل نتنقل من ارث الى ارث حتى النهاية ٠

ارليت : انت لا تستحقين هذا الارث ٠

السيدة سامبسون : لماذا تريدين حرماني من هذا النوع من ٠

ارليت : الخلود ؟

لماذا تريدين حرمان الآخرين منه ٠

السيدة سامبسون : هذا هو الصراع ٠ الكفاح من أجل الحياة ٠ وسأكافح ٠

ارليت : ونحن أيضا سنكافح ، بكل قوانا ٠ ان نجوم المذنبات يمكن أن تصطدم بالقبور ، يمكن أن تفجرها بكل ما فيها ٠

السيدة سامبسون : ويمكنها أيضا أن تحمـــل القبور الى الفضاءات ٠

ارليت : لن أترك لك هذه الفرصـــة ٠ سامنعها عنك أنا وجان ٠

السيدة سامبسون : سنرى لمن تكون الغلبة ٠

ارليت : سأمنعها عنك ٠

السيدة سامبسون : لن تستطيعي ٠

ارليت : بدأت حديثـــك بقضايا الحياة الكبرى ومشكلات العالم والأرض والســماء لتصـــل فى النهاية الى حكاية وضيعه تتعلق بالارث ٠ حكاية ارث وضيعة ٠ أنت مسكينة ! أنت بلهاء ! ٠

السيدة سامبسون : ما أنت الا مدعية كاذبة ٠

ارليت : أنت كاذبة ومنافقة وبلهاء ٠

السيدة سامبسون : لن أستسلم لكم ٠

ارليت : وكذلك أنا وجان لن نستسلم ٠

(السيدة سامبسون **تخرج**) ٠

ارليت (وحدها) : كلا ، **لن نستسلم ! هل هذا صحيح ؟ مع جان الذى لا يهتم بشىء ويدع الأمور بسبب التعب أو بسبب تشككه ، هذا غير أكيد ٠** حينما تمتلىء الأرض بالمقابر عن بكرة أبيها ، فأين **سنضع الأموات الآخرين ؟ سيتوجب علينا أن نحرق الموتى الآخـرين ٠ وسيخلف ذلك كميات هائلة من الرماد ٠ فأين نضع هذا الرماد ؟**

★

(الديكور : محطة حافلات) ٠

سيدة : لم يصل بعد ، لكن الجو جميل ، بوسعنا أن ننتظر ٠

الرجل العجوز الساذج : لحسـن الحظ أن معى مظلتى مع هذا المطر الذى لا ينتهى ٠

جـــان : الجو جميل ٠

شيخ : أنا راض مستسلم ٠

شيخ آخر : أنا لا أقوى على الاستسلام ٠

سيدة : الشبان ليسوا أسعد حالا منا ٠

جـان : أنا أحب هذه المدينة ، مع نهر السين على شاطىء نهر التايمز ٠

الرجل العجوز : هل نجحوا فى شق القناة ؟

الشيخ الآخر : أنا كنت أول من ضرب أول معول قبل سبعين عاما ٠ القناة لم يتم شقها بعد ولكن المياه تختلط بفضل التلوث ٠

سيدة عجوز : ان التلوث هو الذى يجعلنا نعيش، ولكن يالهــا من سحب ! · بفضل هذه السحب انتقلت مياه السين الى التايمز ·

السيدة الأخرى : والعكس بالعكس ·

سيدة : أنا أحب الحاملات التى تشبه المترو ·

السيدة الأخرى : ما أعظم ما أنجزه البشر ! فى عصر الكهوف لم ينجزوا مثل ذلك ·

سيدة : كانوا فى ذلك الوقت أقل علما وثقافة ، فالتعليم لم يكن اجباريـا ·

السيدة العجوز : اجبـارى أو غير اجبارى ، هذا لا يغير فى الأمر كثيرا ·

جــان : نحن محاطون بالغــابات والبحيرات والجبال · مما يجعل الجو جميلا !

العجوز الساذج : يا لها من زوبعة ! لقد تكسرت مظلتى ·

السيدة : هذه شمسيتى بدلا من مظلتك ، وبذلك يصبح الجو أجمل ·

السيدة العجوز : أنا أحب المطر ·

جـان : حقا ، ما أجمل الجو ! جو يغرى بالغناء · (يغنى) ·

سيدة (بعد أن استمعت للأغنية)

حينما تبدأ لا تنتهى ، هذا الغناء يثقب أذنى · زوجى أيضا عنده قيثارة ·

السيدة الأخرى : هذا لا يفيد فى احضار الترام·

جـان : هذا ليس تراما ، هذه حافلة ، حــافلة بالسيدات الجميلات وبالزهور ·

الشيخ : أنـا راض مستسـلم لكل شىء ·· ابن الوطن ·

الشيخ الآخـر : أنا لـن أستسلم أبـدا · ان اغراءات الشيخوخة اقسى من اغراءات الشباب ·

السيدة : هذا صحيح أيضا ·

السيدة الأخرى : الكل فى الكل وبالتبادل ·

جــان : هل تعرفون « أغنية المخصوص » ·

الشيخ : أنا كنت أعرف « أغنية الأنصار » ·

السيدة : ســيان ·

(آنسة ، تصل مسرعة)
اللبان ، اللبان ، اللبان ·

العجوز الساذج : الجو جميــل منذ أعطيتنى شمسيتك ، وهذا لا يعجــل بوصــول الترام ولا حتى الحافلة كما تقولين ·

السيدة الأخرى : اذا لم تكن الحيــاة فى غـلاء مستمر · واذا زادت المرتبــات لزادت الأموال بالتأكيد فى الخزائن ·

العجوز الساذج : ومـع ذلك فالدولة ستستولى على كل ما فى الخزينة ·

جـان : أنا عندى خزينة (حصالة) ضـخمة ، أربت فوقها ، لاشىء بالداخـل ، فأسمع رنين الفراغ ومع ذلك فهى مدخراتى ·

العجوز الساذج : عرفت فى شبابى شيخا يابانيا ليس عنده حبال ولا أقواس ، ومع ذلك فقـد كان مقوس الظهر ·

الشيخ : أنا أبيع الأقواس والسـهام والأطباق ولا أحد يشترى الا لكى يحطمها مما جعل أسعارها ترتفـع ·

السيدة : منذ أن أعطيت شمسيتى بدأت السماء تمطـر ·

العجوز الساذج : وأنا منذ حصلت على الشمسية والجو جميل مشمس ، لكن الشمس تضـــايق عينى ذلك لأن الشمسية بها ثقب ٠

الشيخ : لكى تسدى الثقوب ضعى ثقوبا أخرى فى الثقوب ٠

جـــان : أنا أفضل أن يكون هناك جمال ، بشرط أن يكون الجو جميلا ، وأن تكون المدن جميلة ٠ أنا لا أضيق بالحياة ٠

الجميع : (الواحد تلو الآخر) ٠
هذه هى الحافلة ، هذه هى الحافلة ٠

العجوز الساذج : لقـــد تأخـــرت كثيرا هذه الحافلة ، وليس هذا هو الذى سـيطيل سنوات العمر ٠

(يهرولون ويندفعون جميعا داخل الحافلة التى تجتاز المنصـة وتختفى فى خلفيـة المسرح اليمنى) ٠

الآنسة : (وهى تصفق)

هذه ليست حافلة حقيقيـة ، ليست حافلة حقيقية ، سترينا أراضى مجهولة ٠

العجوز الساذج : ليست هنـــاك أراض مجهولة منذ اكتشاف القطب الشمالى ٠

السيدة : هناك أقطاب شمالية أخرى ٠

الشيخ : هذه هى الأقطاب الشماليـة ، الأقطاب الشمالية الخاصة بتجلى الألوهيـة ٠ أنا أعرفها جميعا وسحقا لها جميعا ٠

الآنسة : لا تكن سوقيا مبتذلا ٠ أنا تربيت على مبادىء أخرى ٠ لم أقتل أحدا بعد ٠

(يمكن أن نضع جان بين الشخوص ٠ كما يمكن أن نضع شابا لا علاقة له بأحد) ٠

★

(الديكور : حجرة متواضعة ٠ الحجرة معتمة ٠ نرى فوق جدار أقصى المسرح نافذتين تطلان على الشارع ٠ أشـــباح تمر ٠ داخل الحجرة يوجد مرتبتان على الأرض ، وكرسى ومنضدة ، وكرسى موسد قديـم وكرسى هزاز ٠ سيدة طاعنة فى السن فوق الكرسى الهزاز ٠ نرى الشخص يمر خلف جـدار أقصى المسرح ٠ بعد لحظة نسمعه يطرق البـاب) ٠

السيدة العجوز : من هناك ؟

جـــان : أنا جان ، ابنك ٠

السيدة العجوز : ما كنا نتوقع حضوره هذا ٠ ادخـــل ٠

(جان يفتـح البـاب) ٠

انتظرت كثيرا قبل أن تقرر الحضور ٠

جـــان : صباح الخير يا أماه ٠

السيدة العجوز : منذ زمن بعيـــد لم نتقابل ٠ أنا لست أمك ٠ أنا جدتك لأمك ٠

جـــان : هل أمى على قيد الحياة ؟

السيدة العجوز : نعم ٠ هى الآن فى الشغل ٠ لقـد عدنا منذ سـنتين الى باريس ٠ أنـا وأمك فقدنا الأمـــل فى حضـــورك ، وهى كفت عن الانتظـار ٠

جـــان : ما يزال فى حيكم منازل قديمة ممتازة بحدائق صغيرة ٠ عندى ظروف مخففة ، لقـد حاولت الحضور عدة مرات ٠ كنت فى الشارع لكى أحضر لزيارتكم ٠ الواقـع أن الشارع لم يكن الا زقاقـا ، طريقـا مسدودا ، فاضطررت للرجـوع والدوران ، واجتزت شوارع أخـرى كانت كلها أزقـة ٠ حاولت الحضـور أكثر من عشرين مرة على الأقل ٠ وفى كل مرة أجد أمامى منزلا أو جدارا يعترض طريقى مما جعلنى أصرف النظر ٠ ثم كررت المحاولـة يوما آخر ، فتكرر

ما حدث فى المرات السابقة · أزقة وجدران وسياج عالية تحول دون المرور · وقد نجحت هذه المرة فى الوصول اليكم · فقد مررت من باب للخدم بعد أن اضطررت للدوران · وهكذا عثرت على باب الخدم والطريق الذى يفضى مباشرة الى شارعكم · لست أدرى ان كنت سأتمكن من العثور على باب الخدم الذى سأمر منه للعودة الى بيتى · هل أستطيع قضاء الليل هنا ؟ ولكننى كنت أخشى دائما ألا أرى أمى على قيد الحياة · الآن أنا عرفتك · أنت جدتى ·

السيدة العجوز : لقد انتظرناك طويلا ·

جان : نعم · كيف تعيشون ؟ لقد أحضرت لكم معى بعض الأطعمة ؟ هذا جوال ملىء ·

(يرفع الجوال من فوق ظهره ويضعه على الأرض) ·

انظرى ، هذه فواكه ، وخضروات وزهور ·

السيدة العجوز : أمك وجدت عملا فى أحد المصانع · وأنا أعمل حارسة فى هذا المنزل · وكما ترى · فقد استطعنا أن ندبر أمورنا بدونك·

(الأم تدخل) ·

جان : أماه ! أماه ! لماذا لا يبدو عليك الاكتراث هكذا حينما ترينني ؟

الأم : أهذا أنت ؟ لم أعد أعتمد عليك ·

السيدة العجوز : ومع كل ، فان أمك موجودة فى المدينة التى تعيش أنت فيها منذ سنتين ، حوالى سنتين · بل وحتى فى الحى الذى تقطن أنت فيه تقريبا · ومع ذلك ، تحضر · مع أننى أخطرتك ببرقية ·

الأم : لقد انتظرتك ، وانتظرتك ، ثم وطنت نفسى وقنعت بنصيبى ·

جان : (للأم) : كم تغيرت يا أمى ، كم تغيرت ! · أصبحت كلوح من الخشب · اذا كنت لم أتمكن من الحضور قبل ذلك فلأننى كان يجب أن أنتهى من دراساتى · عمرى الآن تسع وعشرون سنة ولم أحصل بعد على شهادة الليسانس · كان بودى أن آتى اليك لأريك شهادتى ، وأخيرا قررت أن آتى بدون شهادة · وكما قلت لك لم أكن أعثر على الشارع ·

الأم : ومع ذلك فقد كنت تسكن هنا حينما كنت طفلا صغيرا ·

(خيال يمر نراه من النافذة وفى اللحظة نفسها تقريبا يسمع طرق على الباب) ·

جان : هذا لابد أنه أبى ·

الجدة : هو لم يأت هنا أبدا ·

الأم : منذ أن تزوج مرة أخرى لا يأتى لزيارتنا · فهو يخاف من زوجته ·

(الباب يفتح ، يدخل رجل فى الخامسة والخمسين) ·

الأب (للسيدتين) : الذنب ذنبك أنت اذا لم يكن أكمل دراسته · كان طوال وقته يفكر فيك · لم يكن يفكر الا فيك ·

الجدة : (للرجل) : أنت الذى كنت تمنعه من المجى ·

الأم : ليس ذنبنا اذا كنا ما نزال على قيد الحياة · الآن تستطيع أن تحتفظ به ، ابنك ·

الأب : هو مجنون · فيه ثغرات غريبة ، فقد أدى امتحانات المواد الأولى من شهادة الليسانس وكذلك المواد الأخيرة · لكنه لم يؤد امتحانات الوسط ، وهذا هو ثقبه الكبير ·

(من أحد الأبواب على يمين المتفرجين تدخل الأخت وهى تبدو فى مثل سن الأم) .

الأم : (لجان) : هذه أختك .

الأخت : أمى هى التى تعولنا أنا وجدتى (للأب) لا أنت ولا جان أرسلتما الينا مليما واحدا .

الأب : ذلك لأننى حزين جدا بسبب ثقوب جان .

الأم : (لجان) : جدتك قالت لك ذلك . يمكنك أن تعيش هنا ، اذا كنت لا تستطيع أن تعيش عند أبيك ، فأنت تعرف الشقة .

جـان : سبق أن رأيتها فى الحلم .

الأم : (لجان) : توجد حجـرة لك فى الطابق الأول .

الأخت : يجب أن تصعد السـلم الخشبى ، هناك حجرة تعرفها جيدا ، طويلة جدا ومعتمة بالقرب من حجرتى ، هى ليست مريحة كل الراحة .

جـان : أعرف ، ليس فيها الا طاقة صغيرة فى آخرها . لكننى مع ذلك سعيد لوجود مكان أسكن فيه .

الجـدة : فى انتظار أن تنتهى من دراستك وتستطيع أن تتزوج وتحصل على سكن أفضل .

الأب : هو لا يصلح لشىء ، لن يحصل على مركز مرموق . لن يكون محاميا مثلى .

جـان : هذا ذنبى . هذا ذنبى . أعرف أن فى مثل سنى ، على أبواب الثلاثين ، كان من المفروض أن أكون قد انتهيت من دراستى . لا أعتقد أننى سأتمكن من الانتهاء منها، ليس بى رأس لذلك. المسرح وحده هو الذى يشغلنى .

الأب : لن أعطيك مليما واحدا .

الجدة (لجان) : أمك هى التى ينبغى أن تستمر فى العمل ، والتعب ، ولكنها لن تستطيع أن تظل تعمل ذلك طول حياتها .

جـان : وأنا لا أستطيع أن أعاونها الآن فى أى شىء.

الجدة (لجان) : لن تستطيع أن تعاونها فى أى شىء كان .

جـان : ما العمل ، ما العمل ؟
(يعض على يديـه) .

الجـدة : يشعر أنه مذنب ، ولكن هذا لا يفيد فى شىء .

الأخت : أنت خلقت لكى تعيش على حسـاب الآخرين .

الأب : احتفظن به اذا شئتن .

(الديكور : حجرة واسعة . فى جهة قاعة استقبال برجوازية : ثلاثة كراسى وثيرة ، أريكة ، منضدة صغيرة ، مصباح غماز فوق المنضدة . فى أقصى المسرح مدفأة طراز قديم ومرآة كبيرة . فى الجهة الأخرى شبه عنبر به أربعة أسرة خيام . فوق الأريكة . سيدة فى حوالى الخامسة والأربعين متمددة . ترتدى ثوبا أسود وعقدا كبيرا . السيدة على درجة من الجمال السوقى الى حد ما . فوق مقعدين بدون ظهر وفى مواجهة مارجريت سامبسون ، يوجد جان ، ورجل فى شرخ الشباب وليديا) .

السيدة سامبسـون : هانت ذا ياجـان . كنت أعرف تماما أنك ستعود الى « بامبليون » . اذن لم تعد تحتقرنا مادمت فى حاجة للمال . كان أبوك يرسل اليك المال بانتظام وبكثرة .

جـان : انه أبى يا مدام سامبسون . هذا شىء طبيعى للغاية . واذا كنت قد تشاجرت معه ، فقد كان ذلك بسببك أنت يا مدام سامبسون .

السيدة سامبسون : كنت دائمـــا تـرفض أن تدعونى بالخالة مارجيريت ·

جـــان : أنت لست شقيقة أمى ·

السيدة سامبســـون : كنت تـرفض أن تقول لى يا خالة (يا تانت) فهكذا تدعو زوجة الأب · لم أطلب منـك أن تدعـونى أمك ، ولكن ليس أيضا مدام سامبسون ·

جـــان : ليس هذا سببا فى جعل الناس ومنهم أنا يعتقدون ، أن أمى ، أمى الحقيقية ، ماتت ·

السيدة سامبسون : أبوك هو الذى أراد أن يقنع الجميع بذلك ، ويقنعنى أنا أيضا ، وبخاصة أنا ، ليتمكن من الزواج منى · ان شقيقى كانا يرغبان أن أتزوج رجلا أرمل ، وليس رجلا مطلقا · ومع كل فأنا لم أصدق موت أمك حقا · هل هى ما تزال على قيد الحياة ؟

جـــان : المفروض أنك تعرفين ذلك· حينما تركتها كانت تسـكن فى بامبليون ، وقد كتبت لها · ولكن الحرب قـامت فلم أعـد أعرف شـيئا من أخبارهـا · وأنـا أطلب منك الآن أن تخبرينى بالحقيقة · هل هى ما تزال على قيـد الحيـاة أم لا ؟

السيدة سامبسون : لقد لمحتها قبل سنوات · من يدرى كيف أصبحت الآن · كانت تسكن فى الأحياء الشعبية · فى منزل منخفض ، من حجرة واحدة معتمة ورطبة ·

جـــان : فى كوخ بطبيعة الحال · فى حين أنـك تسكنين قصرا · على العموم المدينة صغيرة ولابد أنك تكونين قد قابلتهـا مصادفة أثناء نزهة من نزهاتك ·

السيدة سامبسون : أبـوك هو الذى أراد أن ينفصل عنها ·

جـــان : وأنـت قمت بجميع ما يلزم لذلك ، أنا أعرف الحكاية كلها · كان أبى رئيسا للشرطة ·

السيدة سامبسون : وما يزال ·

جـــان : كان بوسعه عمـــل التحريات · على أية حال أنا جئت للبحث عنها ، اذا كانت ما تزال على قيد الحياة ، وأخذها معى الى باريس ·

السيدة سامبسون : أنت تزعم أنك تحبها وتقول لى انك لم تكتب لها · كان من واجبك ألا تتخلى عنها وتتركها تسقط ·

جـــان : لقد اندلعت الحرب ·

السيدة سامبسون : لكنها لم تستمر طويلا ·

جـــان : أنا معترف · لم أقم بكل ما كان يجب أن أقوم به · ولكننى لست ابنا عاقا ، كل ما هناك أننى مهمل وتنقصنى الحماسة ·

السيدة سامبسون : كنت دائمـا تتهمنى بأننى سبب شقائك · لم أكن أستطيع عمـل شىء ضد رغبة أبيك ·

جـــان : لقد اصطدت فى الماء العكر ·

السيدة سامبسون : من هذه السيدة التى تقف الى جوارك ؟

جـــان : هذه ليديا ·

ليديا : أنا ليديا ·

السيدة سامبسون : أنت التى غادرت المنزل وعلى ظهرك لفافة الملابس وأنت فى الرابعة عشرة من عمرك · كنت مضطرة لطردك فقد كنت تقيمين فى حجرة واحدة معى ومع أبيـــك · كنت تفصلين بينى وبينـــه · كنت جاســوسة بيننــا ، كنت تمنعين قيـــام أية خصوصـيات واى تقـــارب بين زوجى وبينى · أم أنت لســت ليديا ؟ ربما تكونين الأخرى ، زوجة جان ؟ اذن تذكرين جيدا أننى وزوجى وضعنا دبلة الخطوبة فى يدك ·

(ملتفتة نحو جان) ٠

هل هي شقيقتك أم زوجتك ؟ (لليديا) لقد كان جان موفقا فى زواجه ، اختيار طيب ٠ ولكن للأسـف ، اندلعت الحرب بعـد ذلك وتبعتها الانفصالات والفرقة التى جعلتنا لا يعرف بعضنا البعض الآخر ٠ (لجان) لم أكن أنا التى ينبغى أن أتقرب الى أمك ٠ فأنا زوجة أبيك الشرعية ٠

جـان : أمي كانت زوجتـه قبلك ٠ كنت تقولين اننى وشقيقتى من أب آخر ٠ انك تعرفين ٠ بل لا تعرفين ٠ لا تدركين معنى ما تقولين ٠

السيدة سامبسون : أنا لا أتسكع فى الشوارع٠ شفت ، ولا أفتش فى الأحيـاء ٠ اننى فى معظم الوقت أظل متمددة على فراشى ٠ فأنا أشعر بألم فى معدنى ، اننى مصابة بامساك مزمن ٠

جـان : وسيقتلك ٠ ياليته يقتلك ٠

السيدة سامبسون : (لجان) : كيف انقضت السنوات التى سبقت الحرب ، وسنوات الحرب ، والسنوات التى تلت الحرب ؟

جـان : قبل الحرب كنت كما تعرفين ، مطاردا من العدالة بلا محاكمة ٠ ولحسن الحظ تمكنت من الهرب الى ذلك البلد الذهبى الذى أحسن استقبالى وأوانا جميعا ٠

ليديـا : (لجان) : أنا أشعر بالامتنان والعرفان نحو هذا الشعب ٠ فلا ينبغى أن نذكره بسوء ٠ ماذا كان سيصبح مصيرنا بدونه ؟

جـان : خلال الحرب كنت جنديا فى بادىء الأمر٠ بعد ذلك طردونى ٠ ثم عملت فى حوض لبنـاء السفن فى البحرية العثمانية ٠ لكننى لم أصبح مواطنا تركيـا ٠

السيدة سامبسون : أنت تأتى هنا فى منزل أبيك، فى منزلنا ، ليس للسؤال عنى وتحيتى ، وانما تتحدانى وتستفزنى ، أو لعلك جئت لكى تستفسر عن صحتى ٠ تريد أن تعرف اذا كنت سأموت قريبا٠ ألا فاعلم أننى ليس بى أى مرض الا الامساك وهو ليس خطيرا ٠ ومع ذلك لا تتعجل الميراث ٠ وفضلا عن ذلك ، فان كل شىء أصبح باسمى ٠ أنا التى أتصرف فى كل شىء ٠ فالبيت باسمى ، والمال باسـمى ٠ أنت وأختـك وزوجتـك لن تحصلوا على شىء ٠ أبوك يعطيك ما يكفيك من المال فى حياته ٠

جـان : أنا جئت للبحث عن أمى ٠ هذا كل ما فى الأمر ٠

ليديا : اذا كان أبونا قد أعطاه مالا فقد كان ذلك بدون علمك ، لأنك كنت ستمنعينه من ذلك ٠

السيدة سامبسون : هذا ليس صـحيحا ، فهو لا يخفى عنى شـيئا ٠ أنا التى طلبت منه أن يعطيك مالا ٠

جـان : لايرسل لى المال الا حينما أكون غنيـا ومرموقا ٠ أما حينما أكون فقيرا محتاجـا فانه ينصرف عنى ٠ انه يشعر بالخجل ٠

السيدة سامبسون : لم يستطع أن يرسل اليك المال أثنـاء الحرب ٠ لم يكن هنـاك خدمة بريدية لتجتـاز خطوط العـدو ٠ ثم لم يكن لذلك قيمة ٠ فقد كان هنـاك التضـخم ٠

جـان : أليس عندك من طعام تقدمينه لنا ؟ لست أدرى لماذا أشعر بجوع شديد ٠

السيدة سامبسون : عندى تين ٠

(يصل خادم يحمل طبقا به تين٠ جان سيظل يأكل منه طول المشهد التالى) ٠

جـان : دائما أشعر بالجوع ٠ أرجو أن تكون هذه البلاكارات فيها كميات كبيرة من الطعام ٠

السيدة سامبسون : أبوك دائمـا يهتم بتخزين الطعام ٠

(الأب يدخل من أقصى المسرح) ·

كنت دائما أعطيك الكثير من المال · أنت الآن غنى ·

جـــان : أعطيتنى خمسمائة ألف فرنك ، ولم يبق معى سوى مائة ألف فرنك ·

ليديـــا : يوجد أعداد هائلة من الحجرات هنا فى هذا المنزل · يمكن للفرد أن ينام تارة فى هذه الحجرة وتارة فى تلك ، فى الطـــابق الأرضى ، أو الطابق الأول أو الطـابق العلوى · لن تشعر هنا بالملل · فهناك كتب لاتينية ، كما يوجد كتب دينية ، كل كتب اللاهوت ·

جـــان : بالنســـبة لى ، هذه الكتب غير مفهومة تقريبا · فيما سبق كنت أفهمها وقد نسيت ذلك· لقد انفصلت عن الدين ·

الأب : هذه أوراق ·

ليديـــا : أوراق لعب ؟

(الاب يخرج كثيرا من أوراق اللعب من جيبه ويلقى بها على المنضدة وعند قدمى جان) ·

جـــان : (وهو يجمعها) : أوراق لعب · ما أغرب هذه الصور ! وكلمات قديمـــة أفهم بعضها من آن لآخـــر ·

(الأب يخرج لفافات كبيرة من الأوراق المالية من جيبه ويعطيها لجان) ·

خذ ! هذه لك ·

جـــان : هذه أوراق مالية روسية قديمة ·

الأب : بل هى تركية ·

جـــان : روسية أو تركية فهى أوراق مالية ملغاة، لم يعد لها قيمة · لا أريد أن أسدد بمثل هذه الأوراق ديون خالى ارنست · انه يطلبنى الآن ·

(جان يتوجه الى الهاتف الذى لا يرن · يرفع السماعة ويضعها على أذنه ثم يضعها) ·

هو بالفعل خالى ارنست ، يطلب منى مبالغ كبيرة لكى يسدد ديون العائلة ·

الاب : لا أدرى ماذا أصـــنع مع هذه العائلة ، مجموعة من المتشردين الفاشلين ·

السيدة سامبسون : هذا ما كنت أقوله له قبل قليـــل ·

جـــان : أولا ، هذه الأموال ، هذه الأوراق المالية، خالى ارنست هو الذى أرسلها لى لكى أعطيها لك حتى تغيرها بأوراق أخرى صالحة· أريد غيرها ·

الأب : أمك هى التى أرسلتك هنا فى بيتى· فجئت بكل وقاحتك · انت مثلها لم تعد تخاف منى لأنك تعرف أننى لا أستطيع أن أضربك ·

جـــان : يوجد عجائز فى عائلة أمى · كلهـــم طاعنون فى السن ، ليسوا مثلى ومثلك ما نزال فى سن الشباب بالرغم من كل شئ · لو رأيت أمى كم تقدمت فى السن· لقد وصلت هنا منذ ثمانية عشر شهرا · لو رأيت كم تقدمت فى السن ! انها تبدو عجوزا فى مثل عمر جدتى ·

السيدة سامبسون : أنت اذن ذهبت لزيارتها · لقد منعك أبوك من ذلك ·

ليديـــا : لا أحد يستطيع أن يمنعه من زيارة أمه ·

جـــان : نعم بعد مضى عام· كانت موجودة ولم أكن أذهب لزيارتها· كان عندى من المشاغل ما يفوق الوصف ، أعمال والتزامات من كل صنف · ثم لم يكن هناك ســـيارات أجرة ، ولم تكن هناك حافلات · لقد حاولت عدة مرات أن أتصل بها ، فى كل مرة كانت تظهر عقبة معينة · مثـــلا ، لا أجد وسائل مواصلات ، أو أضل الطريق اليها أو أصـــادف أصدقـــاء فى الطريـــق يشـــغلوننى ويثرثرون معى حتى يأتى الليـــل فأضـــطر الى الرجوع ·

السيدة سامبسون : كنت تقول انك لم ترها وكنت تطلب منى أن أبحث لك عنها .

جـان : لست أدرى بالضبط ان كنت رأيتها حقا ، ان كنت قابلتها حقا ، نعم ، لقد بحثت لكننى ضللت الطريق . هى تسكن خلف الاستاد (ليديا) لكنك أنت رأيتها ، أنت رأيتها .

الأب : كيف عرفت أنها تقدمت فى السن ؟

جـان : (وهو يأكل التين) : قلت لك اننى لست أدرى اذا كنت رأيتها هى أو أننى رأيت جدتى أو رأيتهما معا .

الأب : لا أستطيع أن أعطيك أكثر من أربعمائة ألف فرنك . هذه ورقة بخمسمائة ألف فرنك. خذها وأعطنى الباقى .

جـان : هاك !

السيدة سامبسون : هأنت ترى جيدا أن جيوبك ملأى بالأموال .

جـان : ليس كثيرا . يلزمنى أكثر من ذلك . العائلة فى حاجة الى أموال أكثر . فهم كثيرون وفقراء جدا. هذا على الأقل ما يجب عليك نحوهم. وهم جميعا طاعنون فى السن .

(جان يتمدد فوق الأريكة) .

السيدة سامبسون : أنت كثير المال، فاخر الثياب.

(يسقط من جيب جان حافظة نقود ملأى بالأوراق المالية) .

جـان : يجب أن أخرج ، لأذهب وأعطى هذه الأموال لأمى ولأسرتها . لكننى سوف أعود . فسيلزم غيرها .

(يجمع الأوراق التى سقطت على الأرض ويضعها مع ليديا فى حقيبة يد تمتلىء بها) .

سأحمل اليهم كل هذه الاموال . أنا أعرف أين تسكن . شارع كلود تيراس . ولكن أين يوجد هذا الشارع ؟

الأب : يمكن أن نرى ذلك على الخريطة .

السيدة سامبسون : ليس هذا من شأنك . فلا تشغل بالك .

الأب : توجد عربة بجواد فى الشارع، أمام الباب. بل بجوادين ، بل بثلاثة جياد .

السيدة سامبسون : (لجان) : انظر الى أبيك كم هو مجامل ! . فليس ذنبى أنه لم يرسل اليك مزيدا من الأموال . لست أنا التى أخذت كل شىء . (للأب) دعه وحده يدبر أمر بنفسه .

جـان : عربة بجواد لتصل الى الطرف الآخر من المدينة . سيستغرق ذلك وقتا طويلا كما سيكلف الكثير . تعالى ياليديا نبحث عن سيارة أجرة .

الأب : أنت تعرف أنه لا يوجد سيارات أجرة .

ليديا : قد يوجد ترام أو حافلات ، ولكن أية حافلة تركب ؟

جـان : الوقت متأخر ، الوقت متأخر ، يجب أن أسرع .

(تدخل الجدة) .

ليديـا : جدتى .

الأب : تأتين بالعائلة كلها هنا . لقد قلت لك لا أريد ذلك .

السيدة سامبسون : لا يجب أن تنسى أننى هنا فى منزلى .

الجـدة : لقد فات الأوان الآن . أمك ماتت .

جـان : (حزينا) : كان يجب أن تنتظر قليلا ٠ فلقد انتظرت طويلا ٠

الأب : فى الكتب التى أعطيتك اياها تجد ما ينبغى عمله لمن يقبل على الموت أو يكون قد مات حديثا ٠

جـان : ولكن الذى تضمه الكتب هل هو صحيح؟ فهى كتب قديمة ، كتب قديمة جدا ، فيها تجارب قديمة جـدا ٠

السيدة سامبسون : حينما أموت ، أريد أن يوضع فوق رأسى تاج من الزهور ٠

ليديـا (لجان)

هدىء من روعـك ٠

الأب : آسف لموتها ٠ كانت على أية حال زوجتى٠ ولكن ما حيلتى فى ذلك ٠

جـان : أعطنى الكتاب المسجل فيه ما ينبغى عمله لمن يموت حديثا ٠

ليديـا : عليك بالسلوى بمـا لديك من ثروة ٠ عندنا منازل كثيرة ٠ فى كل منزل سرر عديدة ٠ يمكن أن نغير السرير كل ليلة وبخاصة أنت الذى لا تحب أن تنام فى سرير واحـد ٠

★

(**الشخوص :** جان ، ليديا) ٠

(يدخـلان هو من اليمين وهى من اليسـار ويتقابلان فى منتصف المنصة) ٠

ليديا : هل علمت بالخبر ، هل أدركت ما حدث٠ ان كنستانتين يحظى بتقدير القراء واعجابهم ، نجمه فى صعود ٠ لقد حصـل على أكبر جائزة أدبية فى العالم ٠ هذه الجائزة لم يعد أحد يفكر فى منحها لك ، بل انك تبتعد عنها يوما بعد يوم ٠ حتى التقدير الذى كنت تتمتع به أصبح فى تناقص مستمر ٠ وهناك بلدان لا تعرفك ٠ حتى فى فرنسا بدءوا ينسونك ٠

جـان : فعـلا ، من الذى ما يزال يعرفنى ؟ ما اشقانى ! ٠ كنت أعتقد أننى وصلت وأنه لم يعد من الضرورى عمل شىء آخر ٠ لم أدرك أنه كان لابد من مواصلة الصراع ٠ أعتقدت أننى حصلت على كل شىء فألقيت السلاح٠ فى حين كان الآخرون يواصلون الحرب فى الظلام ٠ وفجأة تبدد الظلام واذا بهم فى بؤرة الضوء ٠ ضوء الشهرة ٠ كيف السبيل اذن لكى أنسحب وأعود الى الظلمـة انتظارا لبزوغ نهار جديد ؟

ليديا : كنستانتين حصل على الجائزة العالميـة ٠ التى أصبحت بمنأى عنك الآن ٠ ومع ذلك فقد كان ذلك باستطاعتك ٠

جـان : لقد ظللت أكافح أعواما كسلى وخمولى ٠ بعد ذلك استسلمت لهذا الكسل وهذا الخمول٠ لقد ضحيت بحيـاتى الفكرية وبكيانى الروحى من أجل شهرتى ، والآن ضاعت الشهرة ٠

ليديـا : هل بوسـعك أن تعيد الكرة وتبدأ من جديد ؟

جـان : لابد أننى تقدمت فى السن ٠ كم عمرى الآن ؟

ليديـا : لقد وصلك خطاب رسمى ٠

(تقدم له الخطاب) ٠

جـان : (يقرأ الخطاب) :

« سيدى ، بالاشارة الى الطلب المقدم منك ، تم تعيينك مدرسا ثانويا فى « ستراسبور » » اذن فأنا لست عجوزا جدا ، بل أنا شاب ماداموا يعرضون على أن أبدأ حياتى العملية من جديد ٠ مدرس ثانوى ، كما بدأت حياتى ٠

(ليديا تخرج) ٠

جـان : عجبا ٠ أين أنا الآن ؟ فى باريس طبعا ٠ لقد وصلت من مارسـيليا ، ماتزال صور البحر الزرقاء تتراقص أمامى ، لقد تذكرت الآن ، أمس

فقط كنت فى مارسيليا حيث وصلت من رحلة طويلة ، رحلة بحرية . كنت فى القسطنطينية . أجل كنت على ظهر باخرة هائلة من الضخامة بحيث كان من الصعب أن تجتاز مضيق البوسفور . لقد اضطروا الى تزييت الباخرة لكى تمر .

(يدخل لويس) .

لويس : لقد ضيعت وقتك أيضا فى هذه الرحلة. تعتقد أن لديك فرصة أخرى من الوقت تضيعها. ولكنك تأخرت الآن . أنت عجوز طاعن فى السن .

جان : مرآة اللبس ، المرآة العاكسة ، ليس لها عمر ! أنا فى شباب دائم . أرى نفسى دائما شابا فى أحلامى . ان اللاوعى لا يشيخ أبدا . ثم أنا أمشى ، وأجرى .

لويس : أنت رأيت فيما يرى النائم حلما جميلا ، حلما جميلا ، استغرق خمسة عشر عاما أو عشرين تقريبا . لكنه انقضى ، هذا الحلم الجميل ، وأنت لم تصنع شيئا من أجلى .

جان : يبدو عليك أنك تحتقرنى ، أنت يامن كنت فى الماضى تمالقنى وتداهننى ، ما أجمل هذه الحلة التى ترتديها !

لويس : لا علاج لذلك. هذه المرة لا اصلاح يرجى. لقد كان الحظ دائما حليفك فى الخلاص والنجاة. أما الآن فقد انتهى كل شىء . أنت الآن منهار تماما . انظر الى أنا تجدنى صلب العود . سأدفنكم جميعا . أنا الذى يضحك الآن . لا تحاول أن تعيد الكرة . لقد مضى زمنك . وأنا ذاهب الآن . يجب أن نتعلم كيف نتخلص من الصداقات المزعجة المعطلة . أنا الآن على موعد مع خطيبتى .

(ينصرف) .

جان : لويس هذا ، يكفى أن تزول عنك النعمة والسمعة الطيبة حتى يتخلى عنك . لن أغفر له ذلك ! لو كان الوقت بالرغم من كل شىء مايزال أمامى فلن أنسى ذلك . انه يخشى أن تعود الكرة ويبدأ كل شىء من جديد. كان يحسدنى ويغتاظ منى . وهو الآن سعيد ويبتهج لاعتقاده أن الفرصة أتيحت له لكى يثأر منى . ولكنه لن يتمكن من ذلك . لن يتمكن من ذلك . سأذهب الى ستراسبورج. زمنى لم ينقض بعد ، وسأبرهن له على ذلك. هناك قطار واحد بالمجان للوصول. اذا فاتنى هذا القطار فقد ضاع كل شىء الى الأبد . كيف السبيل لكى لا يفوتنى هذا القطار وفى أية محطة أجده ؟ أخشى أن يفوتنى هذا القطار وألا أصل فى الموعد بسبب هذه الحقيقة الثقيلة التى تقيدنى .

(ليديا تدخل) .

ليديا : اذا شئت ، ساعدتك فى حمل الحقيبة .

جان : قبل فترة قصيرة ، قبل عامين فقط ، كان المال يصلنى من كل مكان ، كانت الصحف ترسله الى دائما . كانت الصحف تظهر وفيها صورى . أما الآن فلا شىء يصلنى . كيف السبيل للعثور على بعض المال ؟

ليديا : فيما مضى ، حينما كنا فقراء ، كنت تنظر تحت قدميك وكنت تجد المال فوق أرصفة الشوارع وفى مجارى المياه ، فمل بجذعك وابحث .

جان : سأحاول .

(يميل بجزعه ويبحث) .

ليديا : انظر ، انظر ، يوجد شىء يلمع هناك ، هناك ! وهنا أيضا !

جان (يجمع قطعا من النقود ينظر فيها)

شىء تافه . قطع من النقود ضئيلة القيمة . ليس هذا هو الذى سيخلصنى مما أنا فيه .

ليديا : انظر ، هنا أيضا !

جان (يميل مرة أخرى ويلتقط قطعة من النقود)

لا قيمة لهـا ! هذه ملاليم قديمة سحبت من التـداول ·

ليديـا : لا عليك ، فهناك فى ستراسبور ينتظرك هذا المركز الجديد · لقد ذهبت الى كلية الطب وطلبت شهادة تخرجك · ها هى ذى ·

جان : دبلوم فى الآداب ؟ سأعرض هذا على الجميع لكى يعلمـوا أننـى مازلـت قـادرا على أداء الامتحانات · ولكن ما السر فى أن كلية الطب هى التى تمنحنى هذه الشهادة · هل هى التى تمنح شهادات الآداب أيضا ؟

ليديا : طبعا ، بالتأكيد · كما ترى · بل هى أكثر جدية من كلية الآداب ، فهى عملية أكثر · وبذلك تحظى أنت بتقدير العلماء وكبار الأطباء · لأنهم عرفوك فى العيادة التى ذهبت اليها للعـلاج · هل تذكر كم أكرموك · اذهب الى محطة السكك الحديدية وقدم هذا الدبلوم فى شباك التذاكر وسيعطونك فى المقابل تذكرة للقطار ·

جان : يجب أن أذهب · ان السكنى هنا مشئومة ·

ليديـا : بالقرب من باريس ، عند محطة بوابة فيرسـاى ، أول الطريق الزراعى · يمكنك أن تذهب اليه كل يوم ·

جـان : نعم ، هذا صحيح · كنت أذهب اليه فيما مضى من آن لآخـر ، طلبـا للهواء والاستمتاع بمناظر الطبيعـة · كذلك كنت أذهب حينما كانوا يسمحون لى بالخروج من العيـادة بين عمليتين ، هناك حقول كثيرة وشاطىء · مناظر تشرح الصدور وتحيى القلوب · مازلت أتخيل هذا الشاطىء وهذه الحقول التى تفيض بالنور · وياله من نور ! نور يختلف عن النور ! وكنت أتسلق الشاطىء الى أعلى القمة فأبلـغ مدينـة النور · لقد زرتها عدة مرات · أكان ذلك فى الحلم أم فى الحقيقـة ؟ فى الحقيقـة · ولكنها كانت من الروعة والجمال بحيث كنت أظن أنها من عالم الأحلام · ترى ما اسم تلك المدينة ذات المنازل البيضاء والسماء الزرقاء ؟ كانت هناك منازل بيضاء تتلألأ فى الشمس المشرقة ، موقع جميل ، تحف به الانوار من كل مكان · ما اسم تلك المدينة ؟

ليـديا : مدينة النور ، مدينة النـور ، هذا هو اسـمها ·

جـان : أرأيت · لم أفقد كل شىء مادمت أذكر اسم المدينة · مدينة النور ، مدينة النور · من الممكن أن أجدهـا فى بعض البطاقـات البريدية ، فى الخرائط · فى جميع بطاقات الاحلام · موجودة · مدينـة النور · مدينـة القلب ، قلبى · مدينـة النور · مدينة أحلامى · مدينة النور ، مدينـة حقيقتى الواقعيـة ·

ليديـا : حينما تنطق باسم مدينة النور ، تصل شمسها الينا حيثما نكن ·

جـان : فلماذا اذن تعود الظلمة ؟ أيها النور ابق ولا تذهب ! مدينة النور، اسم النور· وا أسفاه ! كل شىء يظلـم · لم أعد أتمتع بالقوة الكافيـة لأحتفظ فى نفسى بنور مدينة النور · لقد حلت الظلمـة من جديـد · ترانى لا أحلـم ؟ أم هو كابوس ؟ مرة أخرى تسكن الظلمة قلبى ·

ليديـا : ستعثر عليها فى ستراسبور ·

(يدخل بول ، ليديا تخرج) ·

جان : أنت تقبل ومعك الظلمة · قبل لحظة واحدة كنت فى مدينة النور · أما الآن ، فقد ابتعدت مدينة النور كيلو مترات وكيلو مترات · أنت دائما جميل الثيـاب · أنت ، بالمقارنـة بى · أفضل ثيابا · لا يجب أن تحقد على حينما أقول لك الآن اننـى فى حاجـة الى المال لكى أشترى تذكرة سفرى بالسكك الحديدية · لا أستطيع أن اذهب سيرا على الأقـدام · فيما مضى كنت أصعد الشاطىء وأبلغ مدينة النور بعده مباشرة · أما الآن فان التعب يمنعـنى من الصـعود ، بل والسير على الأقدام حتى فى الطرق المستوية · أنا محتاج الى نقود لكى أشترى تذكرة السفر ·

(جان يتكلم بعد وقفـة) ·

صراخ وعويل ، وهياج وجنون ، ومشي ورقص ، وكلام وهمس وسب ، وصلح ثم سب وغيرة وحسد وتعذيب ، ثم يختفي كل شيء . هناك من يقيم في الفنادق الكبرى . وهناك من يصيحون على الابواب ويصعدون ليطردوا النزلاء. هناك دائما نيران ودخان . ثم يعيدون البناء . ويشغل البعض أفضل الأماكن ولمدة يومين ولكنهم ما يزالون موجودين بعد مرور أربعة أيام. فيطردهم الآخرون وينتزعونهم انتزاعا . يجب أن تقطع الحبال والروابط ثم يختفي هذا أيضا . يقولون : « نحن هنا عابرو سبيل فقط ... » لكنهم لا يتزحزحون . وكذلك الذين بلا مأوى لا يتزحزحون . لا أحد يريد أن يختفي بالود والتفاهم . المحظوظون أشد قسوة من البؤساء الذين يتكيفون مع بؤسهم . قلت لهم ، هناك الزلازل والبراكين التي تطلق علينا اللهب والحمم . هناك الحرائق في الغابات والمدن . هناك العواصف والأعاصير . ثم هناك الأمراض والاوبئة المميتة . فلندع كل ذلك يعمل .

اذا كنا بأية حال نحترق فلا نحترقن شوقا . بل علينا أن نرقص معا أو أن يمسك بعضنا بأيدي البعض الآخر بأعدادنا الهائلة نحو أبدية الخواء ، جنات الصمت ، فلنسرع بدلا من الانتظار ، هيا ننطلق بأقصى سرعة .

وأأسفاه ! من يضمن أننا لسنا في أول حلقة . وقد تكون الحلقة الثانية أدهى وأمر .

(سيدتان تظهران) .

جان : دليني على الطريق .

السيدة الأولى : الجهات الأربع الأصلية ليست هي نفسها .

السيدة الثانية : هناك سوبر شمال وسوبر جنوب .

السيدة الأولى : النهر كبساط ممدود .

السيدة الثانية : يجب أن تبلغ محيط الدائرة .

★

(الشخوص : فيوليت ، جان) .

(فيوليت ترتدي جبة بيت (روب دي شامبر) ليس تحتها ثياب) .

جان : هذا أنت يا فيوليت . لقد عرفتك جيدا. أنت جميلة وشابة كما كنت في الماضي . شيء مدهش . لم تتقدمي في السن منذ خمسة وعشرين عاما . ما تزالين في الخامسة والعشرين . انا في غاية الاندهاش من شبابك . يا لها من خسارة لا تعوض ! يالها من خسارة أن يموت اسكندر ! . لا ترمقيني بهذه النظرة الشرسة . أعرف أنك تحقدين علي . هل ماتزالين تحقدين علي ؟

فيوليت : مازلت أحقد عليك . ولعل ذلك لغير الاسباب التي تعتقد فيها . أنت كنت شابا وطموحا ، كنت غبيا معه . ولكن ليس هذا هو كل ما في الأمر ، ليس هذا هو السبب .

جان : كنت شابا وطموحا . ولكننا كنا كذلك نحن الثلاثة . لقد استمرت صداقتنا فترة قصيرة من الزمن ! آه ، أنت لا تعرفين كم آسف على موته.

فيوليت : ما فائدة الندم ؟ ولكنني أعتقد أنك نادم .

جان : قبل أن يموت أعطاني اشارة . أرسل لي صورته .

فيوليت : وأنت أرسلت اليه صورتك في الوقت نفسه .

جان : كان لدينا نفس الشعور ، دون أن يخطر لنا ذلك ببال .

فيوليت : لقد تلاقت الصورتان . ومات هو بعد أربعة أشهر .

جان : وعلمت السبب . كان قد بلغ درجة كبيرة من المرض والضعف الجسدي ، فلم يستطع أن يقاوم .

فيوليت : قيل انني هجرته عقب مشاجرة بيننا ، ولكنها نميمة .

جان : هذه الاشارة الأخيرة ، كأنها الوداع . هل تعتقدين أننا لن نراه مرة أخرى ؟ هل هناك عالم آخر ؟

فيوليت : ليس هناك عالم آخر . ما فاتك مضى الى الأبد . لاشيء يمكن تعويضه .

جـان : اذن فأنت لا تؤمنين بوجود عالم آخر ؟

فيوليت : لا توجد فضاءات أخرى ، لا توجد أماكن أخرى ، لا توجد أزمان أخرى .

جـان : قد توجد فضاءات متداخلة بعضها في البعض الآخر ، تفصل بينها أستار خيالية ، حواجز وهميـة . قد توجـد أزمان في الزمن الواحـد متحدة ومنفصلة في آن واحد .

فيوليت : لا تكن طفلا وتسأل الأسئلة البلهاء التي يسألها الجميع . كل شيء لا يقع الا مرة واحدة .

جان : اسكندر لم يكن واثقا من ذلك . كنت دائما أفاجئه وهو يقبل الأيقونات . لا ، لا ، لا تتخذي هذه الهيئـة .

(وقفـــة) .

كنت أعيش في ذلك الزمان بكل عواطفي . كان ذلك الزمان مليئا ، ثريـا ، حافلا ، كانت هناك وقائع وأحداث . أما الآن ومنذ سنوات ، فان الزمان أصبح خاليا ، فارغا ، يمضي حثيثا . لم أعد أستطيع أن أمسك باللحظات . كان النهر في الماضي يسيل في هدوء وهوادة ، أما اليوم فهو شلال يتلاطم . وكانت اللحظات تداعبنـا وتنتظرنا . أنا وصلت . أين ؟ أنا حققت ، ماذا ؟ كل شيء باطل ، اذا متنا سنموت من الحب .

فيوليت : واضح ، أنه كان بينكما سوء تفاهم . كل شيء وراء سوء التفاهم .

جـــان : هذا ما كنت أقوله .

فيوليت : لي صـديق جديد شرح لي كل شيء ، أسباب سوء التفاهم هذا . أنت لم تكن انسانا ســويا .

جـــان : من هو هذا الصديق ؟

فيوليت : ألا تعرف ؟ هو ايفان ، البولندي .

جـان : أنت لا تعرفين البولندية .

فيوليت : أنا أترجم عن الانجليزية .

جـــان : النص مكتوب بالفرنسية .

فيوليت : النسخة الانجليزية أفضل .

جان : تستطعين أن تتصوري يا فيوليت كم أشعر بالحسرة لأنني منذ زمن بعيد لم أر إسكندر . لا فائدة من الندم بطبيعة الحال . كانت غباوة من جانـبي ، وربما من جانبنـــا . كان خـير أصدقائي ، كان أخي . ما الذي جعـل كلا منا يبتعد عن الآخر ؟

فيوليت : أنت الذي هربت .

جـان : تصورت أنه يقلدني . والواقع أنه سرق مني حلما .

فيوليت : كان هو أيضا يكثر من الأحلام : صحيح، كان يمكن أن تكونا أخوين . غـــرور الأدباء . وكنتما تتشابهان كثيرا ، وكانت أحلامكما واحدة. كما أن ماضيكما كان متشابها . فضلا عن ذلك ، القلق نفسه والهواجس نفسها .

جـــان : بلاهات ، منافسة أدبية موهومة .

فيوليت : غلطتـــك .

جـان : لكنه كان قد أصبح مناضلا ، ماذا كان يمكن أن يفيد ؟ بلاهة في نظري .

فيوليت : كان عليك أن تدرك ذلك قبل فوات الآوان · أنا لا أستطيع أن أشعر نحوك بالود ·

جـان : لا تبغضيني الى هذه الدرجة ، فقد كنت دائما عاجزا عن مخالطة أى انسان لا يشاركنى أفكارى ·

فيوليت : وهل عندك أفكار فعلا ؟ اذا كان قد أصبح مناضلا ، فلعل ذلك بسبب انفصالكما ، ما كان يفعل ذلك لو لم تتركه وحده · اذا كان قد سجل اسمه فى الحزب فذلك لكى تكون له أسرة · لقد تركته وحده بلا سلاح · أفكار ! أيديولوجيات ! انها المصادفة لا الاختيار · أحداث عارضة · تفاهات ، أباطيل ·

جـان : أنا الذى أردد دائما أن الصداقة يجب أن تعلو على كل شيء · الصداقات بالرغم من كل شيء · الصداقة شيء جميل ، ما من شيء يهم سواها · الموت · وأخيرا ، اختار الموت ·

فيوليت : بل اختاره الموت ·

جان : عشرون عاما مضت ، عشرون عاما استطعت أن أعيش بدونـه ؟

فيوليت : أنت تضايقنى باحساسك هذا بالذنب· فلتغرق فى وحل الاحساس بالذنب · فلتغرق ·

جـان : لا أملك لك شيئا ·

ولكنـك أنت يا فيوليت التى دفعـت الأمور وأوصلتها الى الأسـوأ · لقد حاولت عدة مرات أن أقابلكما أنتما الاثنين وأن أعيد العلاقات ، لكنكما أعرضتما عنى ورفضتما وساطتى · وأدركت أنكما لا تريدان النسيان · لقد دفعتما بالأمور الى ما هو أسوأ ·

فيوليت : ربما كان عليك أن تعاود المحاولة وتلح فى الوساطة · ولكننى الآن تجاوزت كل ذلك · صديق جديد ويجب أن أترجم انتاجه ·

جان : ولكن لعلك ، أنت التى كنت قد تعبت منه وأصبحت لا تطيقينه · كانت مطالبـه كثيرة ، يريد العون والمساعدة فى كل وقت وحين ، من الصباح حتى المساء ، ومن المساء حتى الصباح · بمجرد ان يفتح عينيـه كنت تضعين السيجارة بين شفتيه · بعد ذلك بزازة الكحول · بعد ذلك فقط كان ينهض من الفراش · كان سوء التفاهم بالتـأكيد فى بادىء الأمر ، لكنك انتهزت هذه الفرصـة ، وعمقت سوء التفاهـم هذا بدلا من اصلاحه ، كانت الامور واضحة بالنسبة لك · وكنت تسيطرين على نفسك · كان بوسعك مساعدته، كان بوسعك مساعدتنا· كان بوسعك أن تفسرى وتشرحى · لكنك لم تحاولى أن تفعلى أكثر من ذلك · لماذا ؟ ماذا كان السبب الحقيقى ؟ لابد أن هناك سببا لا أستطيع أنا معرفته ، سببا أخفيته عنى · ماذا كان السبب الحقيقى ؟

فيوليت : ألم تعد تذكره فعلا ؟

(تسقط جبة البيت التى ترتديها) ·

(فى أقصى المنصة يظهر اسكندر) ·

اسكندر : هيا ، يا جان · أنا أسمح لك بذلك · هيا · مادمت أنا أسمح لك بذلك ·

فيوليت (لاسكندر)
هل هو أبله ، أو يتظاهر بذلك ؟

اسكندر : جان ، لقد خيبت ظنى ، حقا أنت خيبت الظن فيك ·

جـان : أنت جميلة ، رائعة · كنت لا أصدق عينى ، لم أجرؤ · وظللت مقيدا · ليس لك أن تحنقى ، لم أكن أجرؤ على التصديق · كيف كنت أستطيع أن أتصور ؟

فيوليت : المرة لا تتكرر ·

(وقفـة) ·

اسكندر : لقد فضلت أن أموت · كنت أريد أن أكتب أعمالا جميلة كالموسيقى فى مثل رقتها

وعذوبتها وصفائها . حتى الشعر لايبلغها . أحيانا في النادر ، يكون هناك « باليه » من الألفاظ ، من الموسيقى الكلامية ، عند الشاعر ، « آرجون » مثلا ، ولكنه شيء نادر . حتى عند آرجون (اسكندر يختفي . جان يبقى كالمتجمد أمام فيوليت التي تعيد إرتداء جبة البيت في بطء) .

فيوليت : كلا ، المرة لا تتكرر .

★

(**الشخوص : جان ، اسكندر**) .

جان : لا جديد . من آن لآخر نشعر بالعثور على غيضة نسبر أغوارها أو آكمة صغيرة . ونعتقد أن هناك قارة جديدة ، في آخر الآكمة بل في داخل الآكمة ، ونعثر على آثار أقدامنا . لقد سبق أن مررنا بهذا المكان ! ونصاب بالدهشة ، ثم نتذكر اليوم ، والساعة . شيء مخيب للآمال .

اسكندر : قد تكون هناك مغارة أخرى .

جان : لابد أن أصل الى ما وراء السياج ، وأقفز فوق الجدار . ولكن العزيمة تخونني .

اسكندر : ليس الأمر سهلا . فنحن في الواقع نحب أن نعود الى الوراء . نبيذ الصباح الأبيض المعتاد ، والسيجارة الأولى . يوم جديد يشرق . بل نحن نحب العادات التي اعتدناها حتى ولو كانت غير مريحة .

جان : ونود أن نعيد الكرة بشرط أن يكون كل شيء جديدا . ولكن هذا الجديد ، نحن ننتظره . نحب أن نعيد الكرة ولكننا لا نحب أن نبدأ .

اسكندر : العرائس الصغيرة تدور ثلاث دورات صغيرة ثم تذهب .

جان : أو ترفض الذهاب . ويحدث هذا حتى اذا لم يرد الآخرون أن نذهب . نحن لا نريد أن نذهب. فالآخرون ينظرون الينا ، يستمعون الينا، نحن أنفسنا ، ننظر الى أنفسنا ونستمع لأنفسنا ويقولون ، هي العرائس نفسها .

اسكندر : نحن نقول الشيء نفسه . نحن نعرف أننا مستهلكون .

جان : ليتنا والآخرين نستطيع أن نكتشف طراوة الصباح الأول .

اسكندر : النبيذ الأبيض قد يساعدنا ! كلا . بل النشوة وليس السكر .

جان : أنا روحي برجوازية . يعني روح لها نفس العادات .

اسكندر : أن نعمل شيئا جديدا .

جان : أن نكون شيئا جديدا . مخلوق جديد تماما يعجز الخيال عن وصفه .

اسكندر : التغرب .

جان : آه ، نعم ، التغريب ! لقد فتنني التغريب . وأنا أخافه أيضا كل الخوف .

اسكندر : لقد ضقت ذرعا بهذا البلد . ولا أريد غيره .

جان : لو أمكننا أن نكون فكرة ما ، فكرة صغيرة عن البلد الجديد ، لو كنا نعرفه ، لما كان هناك تغريب . لست أدرى اذا كنت أحب المغامرة أو أبغض المغامرة . في بعض الأحيان أقول لنفسي لا أريد مغامرات أخرى .

اسكندر : الملل والتعب في النهاية يولدان عندك الرغبة في المغامرة .

جان : الملل : لقد تعودنا عليه . تعودنا عليه . أو بالأحرى لم نتعود عليه ولكننا تعودنا ألا نتعود عليه .

اسكندر : على كل ، ماذا تقول لو نعيد الكرة لكي نصنع أفضل مما كان ؟

جان : لن تكون الظروف واحدة · حتى كلمة ظرف يمكن ألا تعنى شيئا ·

اسكندر : سنتكيف مع الظروف الجديدة · وقد نغير جلدنا فى النهاية دون أن نغير طبيعتنا ·

جـان : هل سيكون هناك دائما الحيـاة ؟ وهل ستسمى الحياة ؟ وأى نوع من الحياة ؟ نصنع أفضل ! الا اذا لم نفشل على مستوى الجوهر ، نفشل على المستوى الغيبى أو الميتافيزيقى ·

اسكندر : نصنع أفضل فى المرة القادمة ! هل هذا ممكن ؟

جـان : سيكون الوضع لا بأس على هذا النحو · مع أننا لا نملك القدرة على التواجد فى كل مكان فى وقت واحـد ·

اسكندر : نحن لا نطلب شيئا كثيرا · أنا أيضا أشعر بأننى أعيش فى قفص · بل اننى أعتقد أننا جميعا فى قفص · هنـاك فتحة يمـكن أن نعثر عليها · سأعثر عليها ذات مرة · ولكن يجب أن نعثر عليها بأية حال · الآخرون يدفعوننـا وهم يصلون جماعـات كثيرة يملأون القفص · وآه ، لو عندنا قفص آخر أقل زحاما !

جـــان : سيكون قفصا أيضا ·

اسكندر : هل نحن كائنا خلقت لتعيش دائما فى القفص ؟

جـــان : هذا ما قلتـه لك · فما جـدوى تغيير القفص ؟ ولكن القـــرار ليس بأيدينا · حتى أن نعيش فى نفس القفص ·

اسكندر : لن نستطيع · اذا كنت بدأت تشعر بالضيق فذلك لأنك ترغب فى الرحيـل الى بلاد أخرى · وهذا يعنى أنك أصبحت تقبل المغامرة · والآخرون يدفعوننا ·

جـــان : ركن صغير قد يكفينى !

اسكندر : لن تكون هناك أركان صغيرة هادئة زمنا طويلا · لقد بدأت تنتهى · وأنت ترى ذلك · تراه جيدا · انهم يحاصرونك ، ينهشونك ·

جان : أنت تقول لى ما يقلقنى ويطمئننى فى وقت واحد : الملل ، انه الرغبـة فى المغامرة ، اللهفة على المغامرة · ولكن ، لا · فهذا ليس أكيـدا · سأبقى قليلا ، بقـدر ما أستطيع · بصحبة اثنين أو ثلاثة أحبهم · لا أريد أن أتركهم وحدهم ·

اسكندر : بالنســـبة لى ، أعتقد أننى سـأقطع العلاقات · لا أحب أن أطرد طردا ، سأنطلق من قبل الى المغامرة ·

جـــان : الهوة · هوة المغامرة السحيقة · تقفز فوق الجـدار · ولكان اذا كانت هنـــاك الهوة السحيقة ؟

اسكندر : كانت هناك خطوات الانسان الأولى فوق القمر · لقد جرؤوا على المغـامرة · فينبـغى أن نجرؤ أكثر قليلا · لن أنتظر حتى أطرد (نهاية المشهد) ·

جان : شئ غريب · بلدة صغيرة كهذه يشيدون فيها ثلاث ناطحات سحاب هائلة · النفر القليل من الأشخاص الذين يسكنونها يعتبرون فى الريف وفى الوقت نفســه يتمتعون بوسـائل الراحـة التى توفرها المدينة · هل عندهـم مصعد لكى يصعدوا الى أعلى ؟ والمنازل الأخرى منخفضة جدا، ولكن هناك شارعان ، وداران للسينما، ومطعمان من المطاعم القروية ·

فتى قروى : ماذا تفعل يا هذا ؟

جـان : أبحث عن الفضاء المفقود · (على حدة) يبدو أنه جلف غليظ ·

الفتى القـــروى : اذا كنت تبحث عـن القصر الصغير ، فعليك أن تجتـــاز الغـابة الصغيرة · فيما مضى كان هناك ماركيز يسكنه · أما الآن فقد حولوه الى فندق ·

جـان : أنت تشبه ماكلاجين ، ممثل السينما · يبدو عليك الميل الى المشاجرة ·

الفتى القروى : عمرى ثلاثون عاما · رسبت فى امتحان الاعدادية · لست أدرى ما اذا كنت سأتقدم مرة أخرى أو أننى سألتحق بمدرسة فنية · على أية حال ، بى رغبة شديدة فى أن أكيل لك بعض اللكمات فى أضلعك ·

جـان : ألا تريد بالأحرى أن تشرب معى كأسا ؟

الفتى القروى : انظر ! هذا أبى ·

(يصل قروى آخر يشبه الأول بشكل غريب لكنه أكبر سنا) ·

جـان : ما أشبه كلا منكما بالآخر · كان أباك هو أخوك الأكبر · كلاكما له علامة سوداء فوق عينه اليسرى ·

القروى الآخر : مطعمى هناك ، قريب جدا · تعال واشرب كأسا معى ·

جـان : أنا معى مال كثير · انظر ·

الفتى القروى : من أعطاك هذا ؟

جـان : الخباز ، لقـد غيرت من عنـده الورقة الماليـة ·

القروى الثانى : هذه أوراق لم يعـد لها قيمة · لقد ضحك عليك · هذه سندات قديمة ·

جـان : سندات ؟

القروى الثانى : لم تعد سارية المفعول منذ الحرب الثانيـة ·

جـان : ها هنا أنا عشت حينما كنت طفلا صغيرا · ألا تذكروننى ؟ كنت أسكن الطاحـونة ، مزرعة الطاحونة ·

الفتى القروى : أبـدا · وأنت يا والدى ؟ أين كانت هذه المزرعة ؟

جـان : على شاطىء النهر الصغير · خلف الأكمة · ألا تعرفون فعلا ؟ ألم تسمعوا قط عن أصحابها القدامى · اسمهم « مونييه » أسرة عريقـة من أسر المنطقة · خسارة أن المنزل تهدم ولم يبق منه شىء · ولا الذكرى · ومع ذلك فهذا ما جئت أبحث عنه · لن أعود الى هذه القرية مرة أخرى · ولكن أين أقضى عطلتى الصيفية ؟

★

(**الديكور :** حجرة مظلمة وكئيبة · يصل من اليمين جان ومعه صديق · السقف مظلم وقذر ، يسمع أنين سيدة عجوز آتيا من السقف) ·

جـان : طبعا يا عزيزى ، فى الريف ، بين البحر والجبل ، عندى هنـاك منزل جميل · يختلف تماما عن المنزل الذى أسكن فيه حقيقـة ، انه قصر منيـف بقـاعاته الكبرى وأثـاث لويس السـادس عشر وأرائك طراز الامبراطوريـة · لابد أن لويس الثالث عشر قد نزل فيه · لكنه منزل أراه فى الحلم فقط · ولما كنت أراه كثيرا فى الحلم فلابـد وأنه منزل حقيقى ، قصر كما قلت لك بداخله سرايـات أكبر من القصور ، هذه السرايـات أراضيها تمتد حتى المحيط بل وأبعد من المحيط · كيف يمكن للسرايات وهى أكبر من القصور أن تدخل فى القصور ، هذا سر من أسرار الفضاء الخاص بما بين العالمين أو ما بين العوالم الثلاثة · فضـاءات يتداخل بعضها فى البعض الآخر ويعلو بعضها البعض الآخر · أنت لا تسـتطيع أن تفهم هذا الا فى الأحلام · هذا يقابل المنزل الحقيقى ، حقيقى مائة فى المائة ·

الصديق : اذا كان لويس الثالث عشر نزل فيه فهو بالتأكيد منزل حقيقى ·

جـان : لقد التقينا فيه كثيرا ، فى الأحلام أقابلك أكثر مما أقابلك فى هذا الواقع المزيف ، فمن هناك تحدثنا عن الواحد وعن المتعدد ·

أذكر ذلك جيدا ، أذكر ذلك تماما · أنا رجل صناعـة ، وقد تحدثنـا فيه كثيرا عن مصـنع

الجوارب الذى أمتلكه . مصنع تكاثر الجوارب . كيف يمـكن للجورب الواحد أن يتكاثر ؟ لقد عثرت على مواد جديدة ، لا هى من الحرير ولا من النـايلون ولا من القطن ولا من أية مواد أخرى ولا من الأنسجة الأخرى الشائعة المعروضة فى واقع الحياة اليومية . ومع ذلك ، فليست هذه أول مرة نلتقى فيها فى هذا المنزل المظلم بشارع كلود تيراس الذى هو أيضا منزلك وهو حقيقى مثل المنزل لآخر ، ما دمنا نلتقى فيه كثيرا ، هنا فى شارع كلود تيراس ، فى هذا الطابق الأرضى المظلم ، فى هذا الطابق الأرضى المظلم حيث أكلنا خبزا وحيث شربنا أيضا الكثير من الشعير وحيث تحادثنا كثيرا فى أمور فلسفية . فى فضاءاتك ، أين تضـع هذا المنزل ؟ هل هنـاك فضاء بين فضاءات أخرى داخل الفضاء ؟ ربما والا لما كنا هنـا الآن .

جـان : المنازل الحقيقة هى التى نتذكرها ، ولكن أيضـا وبنوع خاص هى التى نتذكرهـا فى الأحـلام . هى التى نعثر عليها ونـدخلها فى الأحلام ؟

(يسمع أنين سيدة عجوز آتيا من السقف) .
المنزل الحقيقى هو الذى نحلم به ، نعم ، أنا كثيرا ما أحلم بهذا المنزل الذى ننزل فيه الآن ، كلها حقيقة ، ولكن أيها أكثر حقيقة من الأخرى ؟ أنا لا أحلم أبدا بمنزل ثالث ، فهو لا يوجـد ، وهذا المنزل الذى نحن فيـه هو الذى أحلم به كثيرا ، فهذا اذن هو الأكثر حقيقة .

الصديق : بالتأكيد ، هذا هو الأكثر حقيقة مادام هو المنزل الذى عشت فيه مع أمك .

جان : نعم بالتأكيد ، أنت على حق ، هذا هو الأكثر حقيقة ، هو الأكثر حقيقة مادام هو المنزل الذى عشت فيه مع أمى ، كانت تظن أننى مجنون ، وأنا جئت لكى أبحث عنها .

(أنين شكوى آتيا من السقف) .

بل هى المجنونـة . طبعـا لا يجوز أن يقول الانسـان هذا عن أمه لكنها تختـبىء . انظر . المنزل خال الا من منضدة صغيرة حتى لا نبحث عنها وراء الكراسى والأرائك . ولكنـنى لست أدرى لماذا هذا المنزل يشبهها ، هنـاك أيضـا حركاتها الخفية ، وجهها الحزين . وعلى الأرضية دموعها التى لا تجف .

الصديق : لن تجف مادمت لم تجدها . ألا تسمع هذا البكاء وهذا الأنين اللذين يأتيان من السقف واللذين يسقطان نقطـة نقطـة ؟ انظر . هذه نقطة على راحة يدى .

جـان : هى فوق . أماه ، أنت هنا ، أنت فوق ، انزلى .

صوت العجوز : أنا أخـاف على الأرض . الأرضية نخرها السوس . من دموعى تولدت الصراصير ، الأرضـية مليئة بالحشرات . الأرضية نخرهـا السوس . المقبرة تحت الأرضية ، وأنا لا أريد أن أسقط بداخلها . جميع أفراد أسرتى موجودون بداخلها وقد استحالوا ترابا . أما هنا ، فوق ، فأنا محفوظة من الموت ومن التراب .

جـــان : (ناظرا الى أعلى) : مادمت أقسم أننى بحثت عنك فى كل مكان . أماه ، أخيرا وجدتك .

صوت العجوز : لا أريد أن أنزل .

(جان والصديق يحملان الكرسى الوثير الذى نراه من أسـفل ، الكرسى بأكملـه يظهر وبه السـيدة العجوز . جان والصـديق يسـندان الكرسى ويضعانه فى هوادة فوق الأرض) .

جـان : أرأيت ، الباركيه لا يطقطق يا أماه .

الصديق : أرأيت يا سيدتى ، الباركيه لا ينهار . الحشرات ابتعدت عنك .

العجـوز : (وهى فوق الكرسى) : لا أريـد ، لا أريد . أنا خائفة لقد تركتمونى وحدى زمنا طويلا . وأنا لم أتعود الوحـدة . (لجـان) أين أختـك ؟ أين أبـوك ؟ (تشـير الى

الصديق) من هذا الرجل ؟ اياك أن تتركنى هنـــا .

جــان : سأصحبك معى ، سأضعك داخل أجمل تابوت زجاجى ، مثل بابوات ايطاليا ، وسيكون لك ثوب أحمر .

العجوز : انظر كيف أصبحت منفـرة . وثيابى رثة . لم يعد عندى سوى هذه الخرق الباليـة ، لم يبق منى سوى العظام وقليل من الجلد ، طبقة رقيقة من الجلد .

جــان : الناس جميعا سيأتون لمشاهدتك .

العجوز (مشيرة الى الصديق)
سألتك من يكون هذا الرجل .

جان : ألا تعرفينه ؟ هذا جرجس . صديقى الذى كان يأتى الينا ويشرب شاى العصر معنا وكنت أدرس معه فى الحضانة .

السيدة العجوز : (وهى تبرز أظافرها لجان) : أنت لم تجبنى حينمـا سـألتك لمـاذا تركتنى طول هذه المدة وحيدة ولم تسأل عنى .

جــان : لقد بحثت عنك فى كل مكان .

العجوز : أنت لم تكن صـادقا فى ذلك . كنت تعيش فى قصورك وسراياك مع جميلاتك. لم تفكر فى . كنت تسكن فى بيت أبيك الذى كان أكثر مالا وجاهـا .

الصديق : لقد مات هو أيضا منذ زمن بعيد .

العجوز : لكنه استطاع بفضل ثرواته الطائلة أن يدفع للكنائس. ولديه منزل مناسب للموتى ولديه الأثاث والطعام . الحياة ليست عاديـة والموت ليس عاديا أيضا . وأنت ؟ نعم ، نعم ، نعم ، كنت تتظاهر بالبحث عنى .

جــان : بحثت عنك فى جميع المقابر وفى ملاجىء كبار السن ، وعنـد أختك وابنة عمك ، عنـد الأحياء وعند الأموات . بحثت عنك فى سجلات الكنائس فلم أعثر على اسمك يا أماه .

العجوز : ذلك لأنك لم تطلب قراءة صلوات على روحى حينما كنت تبحث عنى فى هذا المنزل . كنت لا تنظـر الى أعلى ، كنت تنظـر الى الأرض فقط ، الأرضية التى نخرها السوس ، ثم تفـر مسرعا ، كنت تخاف وكنت تشعر بالخجل . ومع ذلك فأنا أمك وسـأظل أعترف بك حتى نهـاية العالم ، بل وبعد نهاية العالم، وسآتيك فى البرزخ بل وأعلى من ذلك ، فى الكواكب العليا . أين أنا الآن ؟ فى المقبرة العامة ، ولكننى أخذت حذرى واختبأت فى أعلى السـقف . ولذلك فان هذا المنزل لم ينهر بالرغـم من قدمه وسـازلزل أساساته وأنشر فيه الفوضى .

الصديق : (لجان) : هذه ليست أمك ، أمك كانت رقيقة وديعة ، هذه جدتك .

العجوز : أنا الجدة والجد معا .

الأب : (داخلا للجدة) : لعلك تتخيلين أمورا مشكوكا فيها .

العجوز : (الجدة) : من المشكوك فيه اننى أتخيل أمورا مشكوكا فيها .

الأب : ليس معنى أنك تتخيلين أمورا أكيدة ، أنها ليست مشكوكا فيها .

العجوز : (للأب) : أنت هنا اذن ؟

الأب : (للعجوز) : أتعتقدين الآن أنك أكثر حياة لأنك ميتة ؟ كلا ، انك لست أكثر حياة من ذى قبل حينما كنت على قيد الحياة . أنا لم ألق عليك اللوم أسوة بأى شخص يعتقد أنه ما يزال على قيد الحياة .

العجوز : بلى . انظر ، أنا أكثر حياة من ذى قبل ، لأننى فى حياتى لم تكن لى هذه الأظافر التى لى الآن بهذا الطول وهذه الصلابة . هيىء لى هذا الكرسى . ليكن هو كرسى القاضى . وضع هذه المنضدة أمامى لتكون منصة المحكمة . وعليها غطاء أسود . هل فهمت ؟

(تقول هذا للصديق) .

انظر ، يأتون جميعا ، يتلو بعضهم بعضا . أنا القضاء ، أنا مندوبة القضاة ، الله عادل لكنه أيضا جبار . قد لا تعلمون أن الله لا يغفر دائما .

(الصديق يجلسها فوق المنضدة ويجعل من الكرسى الموسد نوعا من العرش) .

الصديق : (للعجوز) : كل ما أتيناه على الأرض لا قيمة له ، لا أهميــة له . الجرائم الكبرى والحسنات العظمى هى من خصائص الأحيــاء ، ولكن كل ذلك باطل ، باطل فى العالم الآخــر وفى عالم العالم الآخر .

العجوز : اذا كنت لا تعتقد أنك على قيد الحياة ، أنت أيضا ، فى اللا حياة ، فلماذا تخاف مما تسميه أنت أيضا أظافرى ، مخالبى ؟

وأنت يا بنى . اجلس على يمينى وكن القاضى المساعد وليدخل المذنبون .

(تدخل زوجة الأب الثـانية (أى السـيدة سامبسون) وهى عجوز مخضبـة بالزينـة فى ثياب شبابية مسرفة ، أشبه بالعاهر) .

هأنت ذى أيتها السـاحرة التى طردت ابنتى من بيتها . سأنشب فى عنقك مخالبى وهى أقوى من مخـالب الأحيـاء ، أقوى وأشـد ايلاما لغير الأحياء الذين لايملكون نقطة من الدماء يفقدونها ، لأن الدماء تشفى ، ولكنك فقدت كل دمائك . وأنا لا أخشى الغدارات ولا السيوف ولا الخناجر .

(يدخـل الكابتن ، أحد شـقيقى السـيدة سامبسون ، وشقيقها الآخر الموظف الكبير) .

هأنت ذا أيضا ، سلف ابنى ، شقيق زوجته الثانية ، أنت الذى أمرت باطلاق النار على أهلى جميعـا ، أنت الذى كنت أنتظرك منـذ أزمان وأزمان . أنت ، أيها الكابـتن مثير للسخرية بنيشانـاتك وأوسمتك وسـيفك ، ماذا جاءت تفعل هنـا كل هذه الزينات . لماذا قتلت أهـلى جميعا ؟ كنت أعرف أنك لن تفلت منى . أنا العدالة . بل أكثر من ذلك ، أنا الانتقام .

الكابتن : لأنهم لم يكونوا من طائفتى . أمام محاكم الجيش الوطنى كنت قاضيا عسكريا ، وكانت عنـدى أوامر بقتـل جميع من لا ينتمون الى طائفتى . فكنت أحظى باحترام . وكانوا يحيوننى ويمنحوننى الأوسمة . وكنت فخورا بما كنت أقوم به ، أجل ، كان ينبغى أن أقضى على جميع من لا ينتمون الى طائفتى حتى تعيش طائفتى . كذلك كنت أقتـل وأحكم بالاعـدام على جميع فاترى الهمة من طائفتى ، جميع الذين يعتقدون عن جبن وضـعف أنهم طيبون . كان النـاس يهتفون لى فى الطرقات ، وكانت مرافعاتى أفضل المرافعات وأقواها وأكثرها اقناعـا .

الصديق : (للعجوز) : ومن الجدير بالذكر أن أنصار طائفته قتلوهم أيضا ، عن بكرة أبيهم ، عن طريق طائفة أخرى . هو الوحيد الذى بقى على قيد الحياة من طائفته . كذلك فان الطائفـة التى قتلت طائفته قتلت هى الأخرى ، على أيدى طائفة ثالثة . ولا نعرف أسـماء لجميع هذه الطوائف ، هذه العشرات من الطوائف التى قتل بعضها بعضا .

العجوز : (للصديق) : أنت محام فاشل .

(للكابتن) من هم المحامون ؟ من كان يدافع عن آلاف المحكوم عليهم ؟

الكابتن : لم يكونوا فى حاجة الى محامين . كانوا يعترفون بأنهم مذنبون . أو كانوا يموتون قبل أن يحكم عليهم .

العجوز : ستدفع أيضا الثمن ، ستدفع أيضا ثمن ما ارتكبته الطوائف التى قتلت طائفتك والتى نسينا أسماءها . العناية الالهية نفسها نسيت أسماء هذه المليـارات من المحاربين أو القتلة . سأقضى عليك بالموت وكذلك شـقيقك ، الموظف الكبير الذى كان يسلب أراضى الفقـراء الذين

كانوا لا يستحقون ملكيتها أيضا . لكننى سأستحدث طائفة من المذنبين أطلق عليهم السوبر مذنبين وهم مذنبون أكبر من المذنبين . أنا لا أعترف بالبراءة . والسماء الآن تضحك من هذا الحكم وأنا أقضى بهذا الحكم لكى أضحكها أكثر وأكثر . ما نحن سوى مهرجين . أنا أحكم بادانتك .

الكابتن : لا تفعل ذلك . دعى الذين ماتوا يبقون على الحياة فى الموت ، وكذلك الحسين من الموتى الذين يموتون فى النار . أنا لا أريد أن أصبح رمادا .

الصديق : (للعجوز) : هناك طوائف أخرى ، الطوائف الأخيرة التى يقتل بعضها بعضا تحت سمع السماء وبصرها .

العجوز : فليحضروا جميعا أمامى ، وأنا أقتلهم جميعا .

(الصديق يدفع الكابتن بين مخالب العجوز) .

العجوز : (وهى تقبض على عنق الكابتن) :

ابتسم ، أيها الكابتن ، ابتسم .

(تغمد يدها الأخرى فى جمجمته) .

كم هى حمراء وسوداء جمجمتك . سأنهال بمخالبى فى عينيك وأنفك وفمك ، ابتسم أيها الكابتن ، اصرخ اذا استطعت ، سأنشب أظافرى فى عنقك ، هل تذكر أيها الكابتن الجميل كيف كنت تختال بحذائك الضخم اللامع ، وكيف كنت تلوح بسيفك . سأمنحك ثانيتين لكى تتكلم .

الكابتن : كانت مرافعاتى تقابل بالمعارضة . فكانت تأخذنى الشفقة .

العجوز : ولأنك كانت تأخذك الشفقة ، فاننى سآخذ منك سيفك الذى كنت تريد أن تغمده فى بطن ابنتى ، وأغمده فى بطنك أنت ، فى أشباح أمعائك ، والآن أنزع العين اليمنى ذات المونوكل (عين الكابتن تسقط) سأترك لك العين الأخرى لحظة لترى ما يحدث لك ، وأنتم أيها المساعدون انظروا .

(تنزع كتافيات الكابتن والشرائط والسترة)

لست فى حاجة الى جنرال أو عقيد لكى يعزلك من رتبتك .

الكابتن : القانون ، أوه ، القانون !

(الكابتن يصرخ ثم يصمت . ينهار) .

العجوز : لا تنزعوا الحذاء ، فقدماه قدما حى وهو يصدر رائحه نتنه .

(الكابتن يظل متمددا على الأرض) .

وأنت ، ايتها الساحرة ، اقتربى بالرغم من الخوف الذى يستولى عليك . هل احتفظت بفرطك وثوبك المكشوف الفاضح ، كأنك فتاة صغيرة . تعالى ، تقدمى ، اقتربى . (السيدة سامبسون تقترب) صغيرة وجميلة كما كنت دائما تعتقدين ذلك . سأتولى أمرك ، بنفسى .

(تترك كرسيها ذا العجلات وتسير وهى تعرج) .

لقد أردت أن ترثى كل شىء ، ابنى ، وثروة ابنى ، واستخدمت السحرة ليجملوك كل يوم . تقفين معتدلة القامة ،سترين الآن ... وانظروا جميعا .

(تنزع عنها قبعتها وتلقى بها أرضا . فتنهال عليها بالعصا على ظهرها ، فتتحول السيدة سامبسون الى عجوز مقوسة الظهر . تمزق ثوبها والثياب الداخلية ، تنزع حذاءها ، وبأظافرها المدببة تنزع الزيف والمساحيق) .

(السيدة سامبسون الآن مقوسة الظهر تماما وتبدو أكبر سنا من الجدة . لقد حولتها الجدة من سيدة شابة الى عجوز حدباء عارية) .

(الجدة تأخذ فى الضحك) .

انظروا اليها جميعا ، الى حقيقة هذه المرأة بلا ذهب ولا زينة .

(تكيل لها ركلة • السيدة سامبسون تسقط على الأرض) •

السيدة سامبسون : لا أستطيع أن أنهض •

(الجـدة تقبض على قفاهــا وتجبرهــا على النهوض)

أشعر بالبرد ، أشعر بالخوف ، أنا آسفة ، أنا نادمة • ما كان ينبغي أن أصنع ذلك •

العجوز : أيتها العاهر البلهاء ، امشى • امشى •

(تضع بين يديها العكازين ، الجدة تتحرك الآن بخفه ورشاقــة وتمشى السيدة سامبسون وهى تبكى وتعرج معتمدة على العكازين) •

الصديق : كفى هذا ، يا سيدتى •

جـــان : كفى هذا ، سامحيها ، اغفرى لها •

العجوز : (وهى تمشي بنفس الخفة ، للســيدة سامبسون) :

لقد أخذت منك شبابك الزائف • منذا غفــر اذن فى الدنيا وفى الآخــــرة ؟ لقد فقدت قواك بالكامل ، أيتها الساحرة ، ورددت الى قواى • وأنت أيها الموظف الكبير ؟

الموظف الكبير : لقــــد قمت باعطــــاء الفلاحين المحرومين مساحات من الأرض • واذا كنت ظالما فى بعض الأحيان فقد فعلت ذلك خطأ ، فما من أحد يستطيع أن يتحرى الدقة دائما فى حســاباته • هذا ذنب الرياضيات الحديثة •

العجوز : كذاب !

(تصفع الموظف الكبير) •

الموظف الكبير : أنت تهينين واحدا من أكبر موظفى الدولة •

العجوز : أيهــــا الأبله • (تكيــل له صفعتين أخريين) أين الفلاحــون الذين رحمتهم ورفقت بهم ، أين هم لكى يشهدوا بذلك ؟

الموظف الكبير : لم يعودوا سوى تراب •

العجوز : اذن فليشهد عليك التراب •

(الموظف الكبير يخرج من جيبه كيسا ويسقط على الأرض قليلا من التراب من الكيس) •

هذا التراب لن يتكلم • لن يتكلم • لأنه لم يعد ترابا • انظر اذن عند قدميك ، هذا التراب اختفى • لم يعد هنــاك تراب • لم يعد هنــاك سماء ، لم يعد هناك عالم •

الموظف الكبير : لم يعد لى مقبرة ، فأين مقبرتى، الأثر الجنائزى ؟ لن يعرف أحد حقيقتى ، لن يعرف أحد من كنت أنا ، أنا ••• أنا ••• اسمى ••• من كنت ، من كنت أنا ؟

(ينهار) •

العجوز : أنتم جميعا • ولستم، فى الوقت نفسه، فى فضاءات خاوية هى ليست فضاءات •

(تدخل غجرية جميلة) •

ابنتى أهانها زوجها وزرى بها ، ولكنك أنت أهنت زوجته الثانية وزريت بها ، فأنا لا أبغضك ولا أحقد عليك • أما ابنتى فلن أوقظهــــا • ان الغفران الوحيد الذى يمكن أن نمنحه للموتى هو أن نتركهم فى هدوء • اشنقى عشيقك ، اشنقيه من رقبتــه مادمت تزعمين أنك كنت تحبينه • خذى هذا الحبل •

(الغجرية تتوجه ناحية الأب) :

جرجريه وراءك •

وليختنف كل ذلك قرونا ، قرونا وقرونا ، سأستدعيكم ، فتقتلوننى •

(العجوز تنزع أسمالها وأنفها الكبير المزيف فاذا هى شابة جميلة ، تغنى أو بالأحرى تطلق صيحات فرح عالية ، لا تنتمى الى عالم البشر) •

(الكابــتن والموظــف الكــبير ، والســيدة سامبسون ينهضــون ، يأخــذون الأب بينــهم ويخرجون جميعا وهم يضحكون) •

(ضــباب كثيف يرتفــع فوق المنصــة كلها يستمر لحظات ثم تظهر المنصــة خالية ، ليس فوقها أحــد) •

فى الوقت الذى يستمر فيه الضــباب فوق المنصة ، يسمع ضحك وصخب يشبهان النحيب• ثم يختفى كل شىء مع الضباب) •

(تمت)